وجهاً لوجه

أمام التاريخ

وجهاً لوجه

أمام التاريخ

1992م

مطبعة عكرمة – دمشق

هاتف 213489

التاريخ: سجل لحماقات الإنسان

وسبيل الزلفى إلى السلطان

ولولا الجهل ما كان للتاريخ وجود

ونحن... وجهاً لوجه مع هذا التاريخ

ح...

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم: بقلم البحاثة الدكتور مصطفى الرافعي

سيادة الأديب الكبير والعالم البحاثة الأستاذ حامد حسن... يرعاكم الله.

قرأت مخطوطتكم القيمة " وجهاً لوجه أما التاريخ " مرة ومرة، وكنت أود قراءتها مرات، لأنها تتناول البحث في أمور تفضي- بالنتيجة- إلى دحض الشبهات التي يثيرها- في كل عصر تقريباً بعض أعداء الإسلام من الصهاينة والمستعمرين، وعدد غير قليل من المستشرقين، فالمبشرين الغربيين، إضافة إلى من تبعهم من دعاة التغريب المحدثين، والعملاء المأجورين، وجل هؤلاء- مع الأسف من أبناء أمتنا الذين استمرأوا العمالة فاتخذوا القدح في الإسلام ونبيه والمسلمين ومذاهبهم صناعة يتفرغون لها، ويعيشون منها فأنس بهم الاستعمار واتخذهم دعاة للإلحاد، يغريهم بالمال، ويرفع مكانتهم بالزيف والباطل.

وصناعة هؤلاء العملاء لا تصطنع عملاً لها أهم وأخطر من عملها في تشكيك المسلمين ببعضهم أو تبشير الوثنيين لكيلا يتحوّلوا من الوثنية إلى الإسلام.

وليس شكّ بأنكم يا أخي العلامة قد أبديتم جهداً صابراً مشكوراً في إعداد هذه الدراسة كما لم تتنكّروا للأمانة العلمية في جميع ما نقلتموه من اللغة العربية، أو من التراجم المختلفة بكل إخلاص ودقة مما تستحقون عليه الشكر والثناء.

ولا يسعني إلا أن أشارككم الرأي بأن أكثر المستشرقين قد حادوا عن الصواب، وانتهجوا طريقاً بعيداً عن الإنصاف، ولم يستطيعوا أن يكبحوا شهوة التحامل على العرب والمسلمين منذ سقوط القسطنطينية عام 1453م إلى يومنا هذا، وذلك حين أخذوا يتلمسون ما عساه أن يباعد بين مختلف الفرق الإسلامية- وبخاصة العلوية منها – بما يشين سمعة هذه الطائفة وينتقص من كرامتها دون بحث عميق أو تمحيص في المصادر التي اعتمدوا عليها،، ونقلوا عنها هذه المصادر المفتراة من قبل المؤرخين المتعصبين، وممن في قلوبهم مرض من بعض المسلمين (بالاسم والإثم معاً)، سعياً إلى إرضاء الحكام المنحرفين إما عن رغبة في الوصول إلى ما بين أيديهم من عرض زائل ومتاع غرور، وإما عن رهبة ما قد يحيق بهم من بطش أولئك الحكام وإيذائهم، وبين هؤلاء من

أتيتم- سيادتكم- على تسمية بعضهم كأبي موسى الحريري" المزعوم" وأضرابه في هذا العصر ممن يعملون جاهدين، ويسعون مجدين لتفكيك الروابط التي تشد أبناء الأمة الإسلامية الواحدة بعضهم إلى بعض قصداً إلى القضاء على هذا الدين عن طرق إخراج بعض فئاته عن الإسلام.

وليس بغريب، ولا بجديد ما ذكرتموه عن تلك الفئة" الضالة المضلّة " من أعداء الإسلام لأن هذا الدين الحنيف ووجه منذ فجر تاريخه بمثل هؤلاء ولكنه استطاع أن يثبت وأن ينتصر عليهم. ففي القديم أيقن المجوس واليهود أنّ الإسلام لا يمكن أن يحارب وجهاً لوجه في معارك شريفة سافرة، وأنه لا فائدة ترجى من وراء اغتيال أئمته وعلمائه وعظمائه، فاستقر رأيهم على أن يتظاهروا بالإسلام، وينخرطوا في سلكه ليمثلوا دور " الطابور الخامس " في قلعته، وكان زعيم هذه الفكرة وممثلها الأول الإنسان الخرافي " شبيه أبي موسى " المدعو " **عبد الله بن سبأ** " الذي كان من دهائه ومكره أنه كان يبثّ في جماعة الفسطاط الدعوة لعلي، وعلي عليه السلام لا يعلم ذلك، وفي جماعة الكوفة الدعوة لطلحة، وطلحة رضي الله عنه لا يعلم ذلك، حتى أنه زوّر رسالة عن لسان الإمام علي لدعوة جماعة الفسطاط إلى الثورة في المدينة(1).

لقد اخترت هذه الصورة بعينها لأنها لا تزال تتمثل بأشكال مختلفة منذ صدر الإسلام حتى عصرنا الحاضر، وأخطر هذه الأشكال ما تفعله الصهيونية العالمية المؤلفة من أمثال ابن سبأ بوسائلها المقنعة بأقنعة جذابة وخادعة كالعلمانية والتطور والنهضة... الخ.

تلك الوسائل التي استطاعت الصهيونية، ومن يدور في فلكها أن تحولها إلى مدارس فكرية واتجاهات يطلقون عليها وصف " الحداثة " يعالجون بها أموراً ثقافية واقتصادية واجتماعية وسياسية وهي في ظاهرها علمانية خالصة يكمن في باطنها القصد والتصميم على إبعاد الإسلام عن طريق إبعاد بعض مذاهبه عنه تمهيداً لعزله وضربه والقضاء عليه.

ومن هنا جاء ردّكم المفحم الذي أوردتموه على الصفحة/30 / وما تلتها من صفحات مؤلفكم هذا فيما يتعلق بالعلويين– رداً على السائل من جهة أصلهم ونسبهم واعتقادهم وعبادتهم فدفعتم عن هذه الطائفة المسلمة ما حيك حولها من شبهات هي أشبه ما تكون بالفقاقيع التي لا تكاد تطفو على سطح الماء حتى تتلاشى فور ظهورها، بل بات كلّ من يحمل في صدره ضمير الإنصاف مقتنعاً بأنّ جميع التهم الموجهة ضد العلويين وشملت أكثر صفحات كتابكم هو كذب وافتراء وليس له أصل ثابت بيقين، بل أن العلويين ليسوا سوى فئة من المسلمين وحسبما ذكرتم

على الصفحة/30/ (عربية العنصر) قحطانية النسب يمنية المنشأ لا تختلف في شيء من الاعتقاد عن بقية المسلمين تظللهم شجرة الإسلام وينهلون من ينابيعه ويعملون بتعاليمه نهياً وأمراً ويمارسون طقوسه، ويتعبدون بكلّ ما في الكتاب الكريم – القرآن – والسنة المطهرة.

وهذا، وإن ما ورد في صفحات كتابكم من تعريض المستشرقين بنبي الإسلام محمد عليه الصلاة والسلام وبخاصة ما جاء على ألسنتهم من كلام ينسب إلى محمد أنه تعلم ما جاء به من ورقة بن نوفل فحسبنا لدحض هذه الفرية أن نورد ما اتفق عليه المؤرخون بأن ورقة قد مات قبل نزول القرآن على محمد.

ولقد أجدتم في فهمكم لبعض المستشرقين وحذّرتم أبناء أمتكم من الوقوع في شباكهم من أمثال القسيس " **لامنس** " الذي أكل الحقد قلبه حينما رأى الإسلام ينتشر في جميع أرجاء بقاع العالم، ويبسط جناحيه على قارات آسيا وأفريقيا وأوروبا فيضيق صدر " **لامنس** " ويسخط على القدر نفسه فيقول: لماذا جاء القرآن فجأة ليقضي على التأثير الطفيف الذي كان الإنجيل قد أخذ يحدثه في ابن البادية ؟.

فمن المعروف أن " **لامنس** " ذو هوى جامح عنيف ثائر، ومنهج " لامنس " ساذج كل السذاجة وأن كتاباته كلها ليست إلا من قبيل التمويه على القارئ والحقيقة أنها لا قيمة لها.

ومن الغريب في هذا المستشرق أنه يأتي إلى أوثق الأخبار وأصدق الأنباء فيقبلها متعمداً إلى عكسها من ذلك أنه ينكر على رسول الإسلام الشجاعة التي هي من أبرز صفات محمد حسبما يفهم من قول الإمام علي كرم الله وجهه كنا إذا حمي البأس واحمرت الحدق اتقينا برسول الله/ص/ فيما يكون أحد أقرب إلى العدو منه.

بيد أنّ الذي لا أستطيع مجاراتكم فيه هو ما لاحظته على الصفحة/62/ عن المستشرق " **لويس ماسنيون** " نقلاً عن الدكتور عبد الرحمن بدوي الذي كنت أعرفه شخصياً في باريس أثناء كنا نهيئ لنيل شهادة الدكتوراه والحق أقول أنني لم ألاحظ عليه بأنه كان مستشرقاً مخادعاً حسبما لاحظ الدكتور بدوي، وإنما عددته واحداً من المستشرقين الذين أشدتم سيادتكم بمزاياهم على الصفحة/37/ من هذه المخطوطة فهو واحد من المستشرقين الذين ما زلت أحسن بهم الظن وإن كنت أعيب عليه مثلكم أنه أسرف على نفسه بامتداح " الحلاج " الصوفي بأكثر مما يستحق، علماً بأنّ " الحلاج " نفسه لا أعده مارقاً من الدين خارجاً عن ربقة الإسلام بل أرى فيه متصوفاً خلط عملاً صالحاً وآخر سيئاً عسى الله أن يتوب عليه.

وختاماً – ولا أود لكم ختاماً – فإن معالجتكم الجادة المتأنية لدراستكم القيمة " وجهاً لوجه أمام التاريخ " هي بحق ذات أهمية فإنها

تثرى المكتبة العربية والإسلامية، وتستحق بذل كل جهد في سبيل نشرها وتعميم فوائدها.

بارك الله لكم جميل صنعكم وغزير عطائكم، وصادق غيرتكم وإحساسكم، وجزاكم عن الإسلام وأهله وعن العلم ورجاله أحسن الجزاء.

وسلام الله عليكم من محبكم وأخيكم.

د. مصطفى الرافعي

هامش المقدمة:

(1): اختلفت أقوال المؤرخين في شخصية عبد الله بن سبأ، ولكن أجمع أكثرهم على أنها شخصية مختلفة، ولا وجود لها في الواقع.

من هؤلاء المؤرخين المعاصرين يأتي الدكتور طه حسين، وقد أورد في كتابه " **الفتنة الكبرى** " ما يلي:

" أقل ما يدلّ عليه إعراض المؤرخين عن السبئية وعن ابن السوداء في حرب صفّين أن حديث السبئية وصاحبهم ابن السوداء إنما كان متكلفاً منحولاً وقد اخترع حين كان الجدال بين الشيعة وغيرهم من الفرق الإسلامية ، أراد خصوم الشيعة أن يدخلوا في أصول هذا المذهب عنصراً يهودياً إمعاناً في الكبد لهم، والنيل منهم ".

وألف المؤرخ العراقي الكبير مرتضى العسكري كتاباً بعنوان " عبد الله بن سبأ " أثبت فيه بأدلة قاطعة أن هذا الاسم لا حقيقة له.

وجاء للسيد جعفر الخليلي مؤلف كتاب " العتبات المقدسة " في مقدمته لكتاب " علي نبراس ومتراس " لمؤلفه سليمان الكتاني ما ملخّصه:

إنّ أول من روى قصة " عبد الله بن سبأ " هو سيف بن عمر التميمي حوالي سنة 170هـ ولم يروها بعده، ولم ينقلها عنه أحد من المؤرخين حتى جاء الطبري عام 310 فأشار إليها، وعبد الله بن سبأ حسب رواية سيف بن عمر أسلم في أيام خلافة عثمان وتشيع لعلي بن أبي طالب. ونقول: إنّ بين إسلام عبد الله بن سبأ وتشيعه لعلي، وبين سيف بن عمر التميمي واضع الرواية 140 عاماً ولم يشر إليها أحد من المؤرخين طوال هذه الحقبة من الزمن، وبين وضع الرواية وبين الطبري الذي أشار إليها 140 عاماً.

ومما يجب الانتباه له توضيحاً للحقيقة: أنّ رواية سيف بن عمر لو كانت صحيحة لما أغفلها معاوية بن أبي سفيان وأنصاره، ولرأوا فيها مطعناً على عليّ وشيعته.

ولقد طعن أئمة السنة جميعاً في سيف بن عمر مخترع الرواية، وقال فيه الحاكم في المستدرك: أنه متهم بالزندقة، وهو في الرواية ساقط !!

ونقول: أنّ العلامة " الرافعي " صاحب هذه الكلمة نفسه قال عن ابن سبأ: أنه إنسان خرافي.

ح...

الوثيقة الاستعمارية

أخي العربي

إذا أردت أن تعرف:

مَنْ أنت ؟؟

وأين أنت ؟؟

وماذا يُراد منك ؟؟

وماذا يبيّت لك ؟؟

فاقرأ بإمعان ورويّة هذه الوثيقة !!

إنّ البحر المتوسط شريان حيوي لمصالح بريطانيا الآنية والمقبلة، فهو جسر بين الشرق والغرب، وممر طبيعي لآسيا وأفريقيا، وملتقى طرق العالم، ولتأمين حماية ناجحة للمصالح الأوروبية المشتركة لا بد من السيطرة عليه، وعلى شطآنه الجنوبية والشرقية إذ أن من يسيطر على هذه المنطقة يمكنه السيطرة على العالم.

إنّ الخطر في هذه المنطقة يكمن في تحررها، وتثقيف شعوبها وتطورها، وتوحّد اتجاهاتها، لهذا ينبغي على الدول ذات المصالح أن تعمل على استمرار تأخرها وتجزّئها، وإبقاء شعوبها مفككة جاهلة متأخرة وأن تعمل على محاربة اتحاد هذه الجماهير، أو ارتباطها بأي نوع من الروابط الفكرية أو الروحية أو التاريخية، وإيجاد الوسائل العلمية لفصلها بعضها عن بعض ما أمكن.

ويعيش في شواطئ البحر المتوسط الشرقية والجنوبية بصورة خاصة شعب واحد تتوافر له وحدة التاريخ، والدين واللغة، وكل مقومات

التجمع والترابط فضلاً عن نزعاته الثورية وثرواته الطبيعية الهائلة، فماذا تكون النتيجة لو نقلت هذه المنطقة الوسائل المدنية، ومكتسبات الثورة الصناعية الأوروبية، وانتشر فيها التعليم والثقافة ؟؟ إذا ما حدث ذلك فسوف تحلّ حتماً الضربة القاضية بالإمبراطوريات القائمة !!

فهل لديكم أسباب، أو وسائل يمكن أن تحول دون سقوط إمبراطورياتكم وانهيارها ؟؟ أو تؤخر مصير الاستعمار الأوروبي وقد بلغ ذروته، وأصبحت أوروبا قارة عجوزاً استنفذت مواردها، وشاخت معالمها، بينما العالم الآخر (المنطقة العربية) لا يزال في مطلع شبابه، يتطلع إلى مزيد من العلم والتنظيم والرفاهية.

إن إقامة حاجز بشري قوي وغريب على الجسر البري الذي يربط أوروبا بالعالم القديم معاً بالبحر المتوسط بحيث يشكل في هذه المنطقة وعلى مقربة من قناة السويس قوة عدوة لشعب المنطقة، وصديقة للدول الأوروبية ومصالحها هو التنفيذ العملي العاجل للسُّبل والوسائل المقترحة.

هذه مهمتكم أيها السادة، وعلى نجاحها يتوقف رخاؤنا وسيطرتنا[1]

مؤتمر لندن للفعاليات الأوروبية

1- وثائق التدخل الأجنبي في العالم العربي مكتب الدراسات والإعداد الحزبي لحزب البعث العربي.

السياسية والاقتصادية والإيديولوجية

سنة 1005م

هذه الوثيقة

هل تحتاج هذه الوثيقة إلى تحليل أو تعليل، أو تقتضي التفسير والتأويل ؟؟

إنها واضحة الأهداف، صريحة المقاصد، بيّنة الغاية !!

إنها خطة عمل، لها طبيعة الاستعجال، وسرعة التنفيذ !!

احتلوا شرقي البحر المتوسط وجنوبيّه، ومن يحتله يمكنه السيطرة على العالم كما يقولون !!

أصبح الأبيض المتوسط بحيرة أوروبية بعد أن كان فيما مضى بحيرة عربيّة !!

صار مجالاً ومسرحاً ومراحاً لأساطيلهم، وسفنهم تمتطي ذراه، وتمخر مداه، وتتهادى متغطرسة في شواطئه، ومدلّة في مرافئه، تحمل التجارة والقهر لشعوب المنطقة !!

أقاموا الحاجز البشري الغريب " إسرائيل " على الجسر البري الذي يربط أوروبا بالعالم القديم !! واوجدوا القوة العدوّة لتلك الشعوب، ورصدوا لها كل وسائل القوة والتفوق وحموها بـ" الفيتو " فبلغت استطالات هذا الإخطبوط الوحشي تونس، وأوغندا، والمفاعل النووي العراقي، وفصلوا بهذا الحاجز البشري الغريب مشرق الوطن العربي عن مغربه، وشماله عن جنوبه.

حالوا بين شعوب المنطقة وبين معطيات الثورة الصناعية لتبقى " سوق استهلاك " لسلعهم، حاربوا ثقافتها ولغتها وحضارتها وتاريخها وتراثها وتطلعاتها القومية، وأحلوا محلها ثقافتهم ولغتهم وحضارتهم المادية.

أشغلوها بالطائفية والقضايا الخلافية والمذهبية والنزعات المحلية والإقليمية[1] أخرجوا بوسائلهم دولة عربية كبرى خارج حلبة الصراع مع القوة العدوّة فكسروا بذلك أحد فكّي الكماشة التي كان مقدراً لها أن تطبق على عنق الإخطبوط الوحشي.

وقضوا على إمكانات دولة عربية أخرى ذات طاقة كبرى مستغلّين غباء بعض قادتها، وتحقّق لهم بذلك حلم ذهبي طالما راود أجفانهم وامتلك عقولهم واستأثر باهتمامهم وهو الوصول مباشرة إلى منابع النفط العربية.

زحفوا تحت شعار " المتعددة الجنسيات " إلى شواطئ لبنان دعماً لأعوانهم ولكنهم عادوا مدحورين، وإلى رمال " الخليج " وعادوا ظافرين يفرضون على العالم ما يريدون.

إنها الصليبية الجديدة، ولكن تحت شعار " النجمة السداسية ".

إنها الماسونية العالمية تحت لواء " بوعز " و " ياكين " و " عمودي " باب هيكل سليمان.

إنها الماسونية التي خلقت " الاشتراكية " ورعتها 74 عاماً، ثم قضت عليها في شهور، لتنتقل القيادة إلى يد دولة تأتمر بأمرها.

1- راجع الأسئلة موضوع هذا الكتاب.

إنها الماسونية التي تحمل بيكار وزاوية " المهندس الأعظم " لبني العالم – كل العالم – كما تريد، ولكن ها هو العم " سام " ربيبي الماسونية العالمية يلقي قفّازه في وجه أوروبا ويحكم قبضته على عنقها، ويعمل على تحجيمها لأنه لا يريد مشاركة في " الذهب الأسود " ولا يسمح لأوروبا بالوحدة، وصنع القرار المستقل، بل يريدها – وستكون – " تابعاً متحولاً " على لغة الرياضيات.

ولا ظالم إلا سيبلى بأظلم

الوثيقة الإنسانية

في عام 1968 دعت الجمعية الأميركية " هيكل التفاهم " لعقد مؤتمر تمهيدي في جامعة جورج تاون في مدينة واشنطن في الولايات المتحدة حضره ممثلون عن الإسلام والمسيحية واليهودية والبوذية

والهندوكية والكنفوشوسية، وأقروا الدعوة إلى مؤتمر عام تبحث خلاله القضايا الروحية الأساسية التي تؤدي إلى التفاهم بين الأديان للعمل في سبيل السلام في العالم. وبعد مدة عقد هذا المؤتمر في كلكتا في الهند حيث اجتمع اثنان وثلاثون عالماً ورئيساً دينياً يمثلون أحد عشر ديناً من أديان العالم، وبحث المؤتمر الدور الذي يجب أن تقوم به الأديان السماوية في القرن العشرين في إحلال السلام في عالم تسود فيه الحروب والمجاعات والمذابح.

أقر هذا المؤتمر الدعوة إلى عقد مؤتمر روحي ثان على نطاق أوسع، في مدينة جنيف في سويسرا.

عقد المؤتمر في حينه وحضره سبعون عضواً يمثلون أديان العالم على اختلافها.

تكلم في هذا المؤتمر كلّ من:

1- راعي الكنيسة الإنجليزية في جنيف.
2- مدير التشريفات في ولاية جنيف.
3- السيدة بيرلا " الهند " الممثلة لـ" هيكل التفاهم ".
4- السيدة " فنلي دان " المدير التنفيذي للمؤسسة.
5- السيدة ديكرمان هولستتر رئيسة المؤسسة.

6- أوجين بليك الأمين العام لمجلس الكنائس العالمي الذي حمل علـى الاعتـداءات والمـذابح والمظـالم التـي اقترفـت ومـا زالـت تقترف باسم الدين.

7- السيد ظفر الله خان رئيس محكمة العدل الدولية في لاهاي.

الوثائق السوداء

الوثيقة رقم (1):

1– إن مكـة ليسـت مـوطن انطلاقـة دعـوة التوحيـد والإسـلام، بـل مركز كنيسة نصرانية.

2- إن محمداً أدخله القس ورقة بن نوفل في النصرانية ليخلفه في كنيسته هذه.

3- إنّ القرآن هو ترجمة إنجيل متى، وإنّ عثمان بن عفان أدخل عليه تحويلاً وتشويهاً مغتنماً فترة الحروب آنذاك.

4- الإسلام ليس إسلاماً بالمصطلح المعروف عنه بل عقيدة أبيونية.

5- إنّ هذا الإنجيل الذي يدعوه المسلمون قرآناً وصل إلى ورقة بن نوفل باللغة الآرامية وبالحرف العبراني، وعربه القس ورقة بن نوفل مع محمد بشيء من التصرف، ويمكن أن يكون لعلي بن أبي طالب شيء من المساعدة على النقل، لأن أسلوبه في نهج البلاغة يشبه أسلوب محمد.

أبو موسى الحريري

في كتابه قسّ ونبي

الوثيقة رقم(2):

1- ثمة من يقول: أنّ بين العلويين من هو اثنا عشري خالص، ولا يمكن تفريقه عن أي شيعي آخر.

2- وبينهم من هو مغالٍ متطرف لا علاقة له بالإسلام.

3- وثمة من يقول: كلّ العلويين سواء، وأن لديهم تعليماً شفوياً لا يُكتب كي لا يقع في يد الأعداء، وان لهؤلاء مذهباً خاصاً ليس إسلامياً.

نبيل فياض

مندوب جريدة الديار البيروتية

الوثيقة رقم(3):

أعلنت إذاعة لندن يوم 3 شباط 1991م في برنامجها العربي على لسان أحد الصحافيين البريطانيين: لقد كان أمام الغرب عدوان اثنان: الشيوعية والإسلام، وقد انهارت الشيوعية دون أن يقدم الغرب خسائر تذكر، ويجتمع اليوم كلّ من الغرب والشرق في خنادق الكاثوليك والأرثوذكسية (وبقصد شعوب الاتحاد السوفياتي لمجابهة العدو المتبقي الواحد). " أكد هذا القول ولفت الأنظار إلى خطره الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي في خطابه بلندن في مركز آل البيت ".

وفي القرآن الكريم:{**ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ**}/النحل125/.

{وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُواْ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرينَ * وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلاَّ بِاللّهِ وَلاَ تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلاَ تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ }/النحل 126- 127/... وكان............ هذا الكتاب

آذار 1989م
المفاجأة

طلب هاتفياً زيارتي، فرحبتُ.

ولج باب مكتبي مسلماً، فاستبشرتُ.

شاب، لم يجتز الثلاثين من عمره، أقرب إلى الطول منه إلى القصر، لا بالنحيف الهضيم كشحاً، ولا بالسمين المكتنز ردفاً، تعلو أساريره مسحة سمراء محبّبة، لم أعلم هل هي الصفة التي مسحت بها الطبيعة ملامحه ومحيّاه، أم هي ما تركته قبلات الشمس التي تلقاها عبر تجواله، لا تفارق الابتسامة شفتيه، وهذا ما يجعلك مشدوداً إليه،

مستأنساً بـه، يحمـل حقيبـة ذات لـون باهـت، أصـبحت فـي أيامنـا هـذه علامة يتميّز بها المحامي والصحفي والسائح.

أعلن هويّته: نبيل فياض مندوب جريدة الديار البيروتية.

شـعرتُ بشـيءٍ مـن الانقبـاض لأن " الـديار " بيروتيـة، وبيـروت بـل لبنـان– كـل لبنـان – فـي الـذروة مـن التـأزّم، الحـرب الأهليـة تلفـه بجهنم مستعر، مستمر، تكتسح كلّ حيّ، وتدمر كلّ شيء، تمتدّ ألسنة نارها وسعير أوارها إلـى كلّ بيت تلتهم ما فيـه من أنـاس وأثـاث، والقذائف – علـى اختلافهـا – تختـرق كـل جـدار فيـرتج ويميـد وينهـار، تعصـف بالمؤسسات، تدكّ المعاقل، تمحو المعالم، لا يوقفها بياض النهار، ولا سواد الليل، ولا صراخ الأطفال، ولا عويل الأمهات، ولا أنين الجرحى، ولا نـداء العـالم،.. العـالم الـذي يصـطرع فـي لبنـان علـى لبنـان !! ألـيس لبنان بوابة هذا الشرق ؟ وممراً إلى ثرواته وخيراته ؟

لكننـي رغم تـداعي هذه الصـورة المرعبـة فـي تصـوري، فـي ذاكرتـي عن لبنان الموت والنار، تفاعلت بالاسم والكنية، نبيل.. فياض.

أليس هذا الاسم يوحي بالنبل ؟ وهو النجابة والفضل !!

والكنيـة فيـاض، أعـادت إلـى ذاكرتـي اسم الشـاعر اللبنـاني الـدكتور نقـولا فيـاض/ 1872– 1930م /، ذلـك الشـاعر الـذي بلـغ بـه إيمانـه بقوميّتـه العربيـة وبوطنـه وأمتـه أن يرتفـع فـوق الفـوارق الدينيـة، ويتسـامى

علـى النزعـات الطائفيـة ويـدكّ الحـواجز النفسـية، ويتخطـى الحـدود المذهبية، ويلغي كل النظرات والنظريات التقليدية فلا يرى فارقاً ولا حدّاً ولا سداً بين النصرانية والإسلام فيعلن هذا الإيمان مجلجلاً مدوّياً هازئاً بالتقاليد البالية:

لي في هوى وطني كتاب خالد   يبقى على المسطور من أيامي

سجّلت نصرانيتي في متنـه   ورفعت فوق سطوره إسلامي

ذكرت هذا الشاعر الإنسان الشامخ شموخ ذرى لبنان التي تغنى بها وأراد لبنان.. الإنسان !! وتداعى إلى ذاكرتي أيضاً علم من أعلام النهضة الأدبية في لبنان المبشر بالإخاء القومي- الوطني، ذلك الشاعر الكاتب الناقد الساخر مارون عبود القائل في ميلاد ولده البكر محمد:

عشت يا ابني عشت يا خير صبي   ولدته أمه في رجب

ولدته، واسمه محمد   أيها التاريخ لا تستغرب

أمه ما ولدته مسلماً   أو مسيحياً.. ولكن عربي

والنبي الهاشمي المصطفى   آية الشرق وفخر العرب

الشاعران نقولا فياض ومارون عبود هما ضمير لبنان العربي الأصيل، ويحق للبنان أن يباهي بهما الأوطان.

*****

- أرغب بحوار معك، قالها زائري.

أحاورك في كلّ شيء إلا في السياسة فأنا غير معنيّ بها !!

- السياسة هي كل شيء في حياة الناس، وخاصة في هذه المنطقة!!

- هذا صحيح ولكن في لبنان فالسياسة هواء وماء وغذاء وشغل شاغل لكلّ لبناني !! أما في سورية فالأمر مختلف، فالسياسة تكاد تكون مقتصرة على طبقة معينة، للسياسة رجالاتها المسؤولون والشعب يثق بقادته السياسيين بعد تجارب طويلة واختبارات متلاحقة أثبتت كفاءة وإخلاص هؤلاء الرجال، أما الشعب وقد أمّن الجانب السياسي وأوجد عمّاله، فقد انصرف إلى العمل بحقول أخرى.

طرح موضوعاً سياسياً فقلت له: كنت عالنتك منذ قليل أني غير مهتم بالشؤون السياسية، وأكتفي بتتبع الأحداث ورصد الحوادث، دون أن أتدخل بالحدث، حتى ولا بالتعليق عليه.

راغ صاحبي بلباقة الصحفي النابه، وتسلل ببراعة إلى الأدب، وتجاذبنا أطراف الحديث وأطرفه عن الأدب، قديمه وحديثه، ووقفنا عند الشعر، واستعرضنا مدارسه ومذاهبه، وتطوره شكلاً وموضوعاً، وأجرينا مقارنة بين النظريات المتعددة حول الشكل وتوسعنا في البحث عن مهام

الشعر وعن رسالته الاجتماعية، وعن نظرية الفن للفن، والفن للجميع، وهنا دست الفلسفة أنفها لأن الموضوع يدور حول الذاتي والموضوعي.

كنت أحاور زائري مقتنعاً بأنه إلى غرضٍ أبعد من الحوار، واستعراض النظريات لأن كلّ مثقف كان يشعر منذ مطلع الخمسينات بالتحرك المريب الذي يقوم به دعاة التغريب، وطلائع الغزو الثقافي، وعملاء التخريب الفكري في المنطقة، وأنهم يرمون بثقلهم، ويركزون اهتمامهم على الشعر العربي باعتباره الحافظ الأمين لتاريخ الأمة العربية وأداة الوصل المتينة بين ماضيها وحاضرها. والناقل بصدق وأمانة وعفوية لأبنائها حضارتها وأمجادها وأخلاقها وكل خصائص مسيرتها الإنسانية عبر تاريخها الطويل.

حاولت أن أكون حادَ الانتباه أرصد حركات صاحبي وأزن كلماته، وأستقصي عميق أفكاره ومدى ارتسامها على صفحات جبينه، وفي نبرات صوته وابتساماته.

أجل لقد ألزمت نفسي جاهداً للنفاذ إلى اكتشاف ما يبطن، واستظهار ما يخبئ وما يختلج في صدره ويعتلج في نفسه !!، أليس الرجل من لبنان بلد الطائفية واللهب والغضب والعملاء وفئات الدس على سورية، والذين يعملون ليل نهار وسراً وعلانية لنقل الفتنة إليها وفق مخطط الصهيونية والاستعمار والذي يقوم بتنفيذه عملاؤها المأجورون،

ولا سيما وصاحبي يمثل مؤسسة سياسية لها منهجها السياسي وهدفها الاجتماعي.

تمكّنت بشيء من اليقظة أن ألمس أن صاحبي يسرّب بعض أفكاره السياسية عبر حديثه، وأن كلماته وتعابيره وحركاته ونبرات صوته أصبحت نامّة ومعبرة عما يبطن ويقصد ويهدف ولكن بتحفظ بالغ، وحنكة واعية وحكمة وحذر، وأدركت أنه لا يقلّ تحفظاً وتحوطاً لأفكاره عن تحفظي وتحوطي، وكأن كلاًّ منا يدرك ما في أعماق الآخر.

غمز من الشعر العربي، وأشار من طرف خفيّ وبتلميح ذكي إلى وجوب تعديل مساره شكلاً وموضوعاً، ولكنه عبر عن رأيه هذا بطريقة عرض الفكرة لا بطريقة إقرارها وإعطائها صفة الحكم القابل للتنفيذ.

والشعر العربي– كما تقدم – وعاء التاريخ العربي ومختزن حضارة الأمة ومستودع خصائصها النفسية والاجتماعية.

والغمز– غمز الشعر العربي – يعني النيل من هذه الخصائص عامة، ومحاولة – غير نبيلة القصد – لتشويه الوجه العربي الأصيل الجميل، وهي طريقة دأب الاستعمار بواسطة مستشرقيه ومبشريه وعملائه على التركيز عليها وإشاعتها بين الجماهير، وأوساط المثقفين خاصة.

بـرّر صـاحبنا فكرتـه ومهّـد لدعوتـه ودعايتـه بشـأن تعـديل مسـيرة الشعر العربي في هذه المرحلـة بمتطلبات الحياة المعاصرة، والمعطيات الجديدة، والحاجـة الملحـة إلى الجديد والتجديد وهذا هو منطلقهم، وهذه هـي وسيلتهم وطـريقتهم التـي تختبـئ وراء مقاصـدهم، ظـاهره فيـه الرحمـة وباطنه من قبله العذاب.

أنصـتُّ إلـى حديثـه المسـتفيض حـول الموضـوع وإلـى دعوتـه ولـم أقطـع عليـه تـداعي أفكـاره، والأصـح أنّ أفكـاره لـم تـأت بطريقـة التـداعي المعروفة عند علماء النفس بل كانت مهيأة ومدروسة.

لـم تفـارق شـفتيّ ابتسـامة يلتبس فيهـا الشـك والريبـة فيمـا يرمـي إليـه، في الوقت الذي تشجعه على المضي في حديثه والاسترسال.

كانـت ذاكرتـي – وأنـا أسـتمع إليـه – تسـتعيد مـا اختزنتـه عبـر سـنين طويلـة عـن الـدعاة الأول مـن أسـاطين الاستشـراق فـي هـذا المجـال !! مجال الالتفاف على التاريخ العربي، والاستيلاء على العقل العربـي ةزرع بـذور الشـك فـي ثوابتـه وقدراتـه، وانـه – أي صـاحبنا هـذا – يـتم مـا بـدأه سابقوه، ويترسم خطاهم، ويسلك منهجهم ويؤدي رسالتهم.

فـي طليعـة أولئـك الـدعاة الأول– فـي بـدء عصـر النهضـة – يـأتي المستشـــرق الـــدانيماركي الأب هنـــري لامـــنس/ 1862– 1937م / اليسـوعي الـذي طلـع علينـا بجريـدة البشـير – فيمـا طلـع – لسـان حـال

مؤسسة " الجزويت " بالزعم القائل: " على الشعر العربي أن يتجه إلى الغموض لأنّ الغموض يحدث في النفس خدراً لاذّاً "، ولا يخفى ما تبطنه هذه الدعوة المسمومة، فالاتجاه نحو الغموض يعني الابتعاد عن تقرير الموضوع في ذهن المتلقي، والوضوح هو الميزة الكبرى التي يتحلّى بها الشعر العربي، وهي التي تجمع إليه وعليه الجماهير وهي أداة التأثير والتأثّر، نحن لم نفهم تاريخ أمتنا، ولم نعش حياتهم لولا هذا الوضوح الذي يتمتع به شعرنا العربي.

وتهافت عدد من الشعراء على دعوة " لامنس " هذه !! شعراء مهيأون للأخذ بهذه النظرية، وأشبعوها طرحاً وجدلاً وتطبيقاً تحقيقاً لمرمى سياسي بعيد(1).

لماذا الغموض ؟! وهل يعني إلا ضياع الرؤية وتضليل الرائي، ولا سيما أن هذه الدعوة المريبة جاءت في مطلع النهضة الحديثة، ونشوء تفتح الوعي القومي.

الجماهير العربية منذ عهد عكاظ ومجنة وذي المجاز والمربد وغيرها من معارض الشعر كانت تفهم الشعر وتنفعل به انفعالاً مباشراً يثير حماستها، يستثير مروآتها، يزكي عزائمها، يشعرها بذاتها، بقوميتها

1- في طليعة هؤلاء سعيد عقل ويوسف الخال وأدونيس " علي أحمد سعيد " الذي ترك الإسلام إلى المسيحية في احتفال مشهود ببيروت " مجلة الرسالة المصرية – أغسطس 1964م ". أما مقلدوهم فلا شأن لهم لأنهم ضحايا الخديعة.

بتاريخها بحضارتها، فكيف لا يحارب هذا المبشر – والمبشرون من رسل الاستعمار – هذا الشعر الخطر الأصيل، ويدعو إلى تنغيله وتطويق رسالته وتعويق مسيرته ؟؟

وانضم إلى قافلة الدعاة الغلاة العداة الشاعر اللبناني سعيد عقل بعد أن احتضنته إحدى الإرساليات التبشيرية المعروفة في لبنان وأغدقت عليه نعمها حتى أصبح – وهو المعدم أصلاً – ذا جائزة أدبية سنوية تحمل اسمه، وتقام كل عام، ولكن لا يطمع أي شاعر عربي مهما بلغت قيمته وشهرته ومنزلته من الثقافة والشيوع والذيوع بإحراز هذه الجائزة إذا لم يتحقق – وإلى مدى بعيد – نظرية الغموض " اللامنسي " ليحصل على الخدر اللاذ!! ويحقق رسالة موت الشعر العربي.

لم يقتصر نشاط سعيد عقل على تغميض الشعر العربي وإيجاد الخدر اللاذ تحقيقاً لرسالة سيده لامنس بل تجاوزه إلى الدعوة إلى إحلال العامية محل الفصحى والحرف اللاتيني محل الحرف العربي، والجأر بالدعوة إلى " الفينقة " و " لبننة " العالم وغير ذلك من المضحكات المبكيات.

وتجاوز سعيد عقل الثانية أستاذه لامنس وأسرف في التجاوز فأضاف نظرية اللاوعي فكانت أشر وأدهى وأضر وأنكى وأضحك وأبكى من غموض سيده وأستاذه.

ملأ الصحف – وهي صحف مهيأة لخدمة الفكر الاستعماري – دعاية ودعاوة ودعوة وادعاء وأحاجي وألغاز ومعميات من" لا وعيه".

ومن إخلاصه وتفانيه في محاربة اللغة العربية ما كتبه عنه أحد تلامذته محمد علي شمس الدين قائلاً: دخل علينا " أي سعيد عقل " الصف في دار المعلمين ذات يوم فسألناه عن المتنبي، فقال: نصف شاعر ثم طلب من أحد الطلاب أن يكتب على سبورة الحائط لفظة " دَرَجَ " بحركات الفعل الثلاث ثم طلب أن تغيّر هذه الحركات ضماً وفتحاً وكسراً وتشديداً وطلب إلينا أن نقرأها وقد تغيّرت حركاتها كما قلنا فاختلف اللفظ بها وضاع المعنى وقال: أترون أن لا أحد منكم يستطيع قراءة كلمة واحدة من اللغة العربية قراءة صحيحة.

ثم كتب بيده إلى جانب اللفظة العربية بالحرف الفرنسي DARAGA وطلب قراءتها فقرأناها كلنا بلفظ واحد فقال أرأيتم أنكم كلكم تقرأونها بصورة صحيحة هذه مشكلة اللغة العربية.

ولما حاولنا المناقشة امتنع وطلب التصويت على مشروع إصلاح اللغة.

1- كتابة العربية بالحرف اللاتيني.

2- بالحرف الفينيقي.

3- بالحرف العربي.

وفاز الاقتراح الأخير.. وأخفق سعيد في هذه الجولة مع تلامذته !!

ويتابع السيد شمس الدين معرفاً ومعلقاً على أعمال أستاذه قائلاً: أصدر سعيد عقل كتابه " يارا " بالعامية اللبنانية لغةً، وبالحرف اللاتيني كتابةً، وكان ينوي ترجمة التراث إلى هذه اللغة العجيبة التي هي أشد عجباً من لهجات قبائل أفريقيا المعزولة والغابات العذراء[1].

وحادثة سعيد عقل هذه أعادت إلى ذاكرتي قصة من مجموعة قصص وقعت لي في مطلع حياتي وكلها تشير إلى نوايا وأعمال المستعمرين وأعوانهم، وإلى طرقهم التي استنبطوها وسلكوها نظراً وتطبيقاً تمتيناً لهدف وتوصلاً لغاية وجرياً وراء مبتغىً.

عندما أناخ الاستعمار الفرنسي البغيض بكلكله الثقيل على سوريه ولبنان باسم الحماية والانتداب بعد الحرب العالمية الأولى/1914- 1918/ شاءت فرنسا الأم " الرؤوم " كما يطيب للبعض أن يراها ويدعوها أن تعمل على تمدين الشعب العربي في سورية فأوعزت إلى إحدى إرسالياتها المهيأة لفتح مدرسة لتعليم الناشئة وتثقيفهم ودفعهم في سبيل الحضارة وكنت – لسوء الحظ أو حسنه – في عداد تلامذة تلك المدرسة المبكرة أتلقى دروس العلم لألج باب الحضارة الفرنسية، وكان معلم اللغة العربية يدعى " جان "

1- الكفاح العربي.

ومن أصل عربي كما يدعي، ومن بلد عربي شقيق مجاور، ولم أزل أذكر وبمرارة وسخرية وقرف واشمئزاز كيف كان يقف وهو يشرح درس القواعد العربية ويضع يده على حنجرته ويسعل متظاهراً بالألم وبأنه أصيب بمرض لأنه لفظ كلمة جاءت فيها حاء أو عين أو طاء وأن حنجرته أصيبت ببعض الجروح والتهبت من ثقل هذا الحرف على الحبال الصوتية، ثم يعقب أمامنا متألماً قائلاً: إنها لغة " صئبة " أي صعبة !!

ومدرس التاريخ والجغرافيا كان مستشرقاً يدعى " فيران " ويتقن العربية، ولقد أتقنّا لديه تاريخ وجغرافية فرنسا أرضاً وتضاريس وجبالاً ومساحة وسكاناً، وعرفنا عن نهر " السين " أكثر مما عرفنا عن الفرات والعاصي وعن نابليون أكثر مما عرفنا عن المثنى الشيباني وطارق بن زياد، وأذكر أنه ما ذكر طارق بن زياد إلا ونعته بالأحمق الأخرق لأنه أحرق مراكبه ولم يحتفظ بخط الرجعة ليدل على عبقرية عسكرية على زعمه.

وأذكر فيما أذكر أنه استأجر فتاة فقيرة اسمها مريم لتخدم في بيته، وكانت زوجته " آن " تناديها " فاتيما " !! ولما سألنا المعلم أحمد مدرس الرياضة ماذا تعني فاتيما بالفرنسية فأجاب بعد زفرة حارة تعني " فاطمة " فأدركنا السر !!

تلك الوقائع بعض ما تعرضنا له في صغرنا من محاولة لاقتلاع جذورنا.

في هذه الجلسة الطويلة المدى تطاول الحديث بنا وامتدّ واتّسع، فتطرقنا إلى الفلسفة القديمة والحديثة، وقفز حديثنا إلى علم الاجتماع وفلسفة قوانينه فإذا بصاحبي لا يقل سعة باع ووفرة إطلاع في هذه المجالات عنه في مباحث الأدب.

ولما بلغت بنا المجاذبة – مجاذبة الحديث – إلى الأديان والمذاهب برز اختصاصه، وتجلّت مواهبه، وسعة إطلاعه على المذاهب والأديان، وما هنالك من اختلاف بين الشرائع وما تداركته كل شريعة لاحقة على أختها السابقة، أو قصرت فيه، وتعليل كل ذلك تعليلاً منطقياً موثقاً بظروف وأحداث المرحلة التي جاء فيها التشريع.

وهنا أدركت أن صاحبي ليس مجرد صحفي يهتم بالحوادث اليومية واستطلاع الرأي العام السياسي والثقافي ليرفد قراء صحيفته، بل هو أديب وباحث وذو هدف بعيد المرمى. واعترف إنصافاً للحقيقة والواقع، وإعجاباً بما سمعت ورأيت منه بوفرة معلوماته، وسلامة لغته، وعذوبة ألفاظه، وقوة منطقه، ونصاعة حجته، وترابط أفكاره وتسلسلها وترابطها، وحسن عرضها، وكلها في خدمة هدفه وقد جهد لتغطية هذا الهدف !!

ومع أن هدفه لا يطمئن إليه الثقيف العربي القومي المسلم لما يستبطن من شعوبية فكرية وسياسية فإني معجب به، لأنّ الدعاة – في رأيي – من أي فئة كانوا، وإلى أي غاية يرمون يجب أن يكونوا مزودين بكلّ ما تتطلبه مهمتهم من وسائل وأدوات.

ارتفعت الكلفة والتحفظ والحذر بيني وبينه، وتلاشت الموارة والمداراة لأن كلاًّ منا اكتشف خبئ صاحبه، وتبين دخيلته، ولمس مبلغ ثقافته، وعرف كيف يتصرف بها، وفي أي اتجاه يصوّبها، وتحت أي شعار يوظفها، وأصبح كل منا يقدر صاحبه، وينصت لحديثه، ويقدر رأيه، ويحترم أفكاره، ويقدم في الحوار والجدل والنقاش كل ما يمتلك من قوة منطق، وسلامة حجة، وهذا ما تفرضه المثاقفة، وتوجبه الأخلاق، ويحتمه السلوك الاجتماعي الصحيح.

وهنا تقدم إليّ بأسئلة مكتوبة طالباً مني بإلحاح وإلحاف ورجاء الإجابة عنها، وهنا صدق ظني، وصحّ توقعي، وأصاب حدسي بأنه باحث يرمي إلى غرض ويهدف إلى غاية، وإنما اتخذ الصحافة وسيلة وذريعة للوصول إلى غرضه.

وغادر مودعاً، وشيعته على أمل العودة.

خلوت بنفسي، وألقيت نظرة فاحصة على هذه الأسئلة، ولأول نظرة صحّ ما توقعته، ووضح لدي ما كنت استدرجه للإفصاح عنه، وما كنت

أستشفه من صفحات وجهه، وانقباض أساريره أو انبساط قسماته، وفلتات لسانه، وتيقنت من هذه الأسئلة بأنه ليس صحفياً وأديباً وباحثاً فحسب بل وصاحب رسالة، ورب عقيدة سياسية وداعية لمنظمة ومبشّراً برسالتها، ومنافحاً عن مقاصدها.

هذه الأسئلة بصيغتها وغايتها وتوقيتها وما تنطوي عليه أعدت أعداداً تاماً، وخطط لها من قبل مجموعة ذات أغراض سياسية وفكرية واجتماعية.

هذه الفئة لا يرضيها أن ينعم مواطنو هذه المنطقة بالإخاء والمساواة، أو يتمتعوا بنعيم الحب والوئام، ويهنأوا بالاستقرار السياسي والفكري والنفسي، وما صاحبنا – مع ما هو عليه – إلا أداة في خدمة هذه المنظمة، وهذه المجموعة من الناس، ويعمل على ترويج بضاعتها !!

*****

وعاد !!

وكنت معه على ميعاد !!

عاد، ولكن بعد تراخي زمن، وتعاقب أيام، وتوالي ليالٍ.

عاد ليتقاضاني العهد، ويستنجزني الوعد، وما كنت بناكث عهدي، ولا مخلف وعدي ولكن أسئلته لشمولها وتنوّع مقاصدها، وما تتوخاه من

الإحراج، وما تقوم عليه من التعنت والكيد، وما تحتاجه من الوقت لاستخراج الوثائق التي تظهر خطأها وتستخرج نبأها، والرجوع إلى المصادر والمظان التي تفضح زيفها، والأدلة التي تكشف خلفيتها كلّ ذلك عمل عمله في إنجاز الوعد في حينه.

هذه الأسئلة – وهي على ما وصفتها – لا يجاب عليها بمقال في صحيفة بل تحتاج إلى كتاب يقتضي إنجازه زمناً وجهداً وصبراً وهذا كله أو بعضه لم يكن متوفراً لدي يومئذ، لتراكم الأعمال وانشغال البال واضطراب الأحوال.

يضاف إلى هذا عامل أكبر، وأشق وأخطر، وأضيق وأعسر وهو الترفع والابتعاد عما يثير المشاعر، ويحرّ هدأة الخواطر، ويقلق الهدوء والاطمئنان، ويغير من النظرة البريئة التي يتناظر بها المواطنون.

عاد صاحبي وفي هذه المرة أهدى إليّ كتابين:

الأول من تأليفه بعنوان " كافاكا ".

والثاني من تأليف الدكتور محمد سعيد البوطي المحاضر في كلية الشريعة في جامعة دمشق وصاحب المؤلفات العديدة في التاريخ والفكر الإسلامي بعنوان " هذه مشكلاتهم "، والكتاب جواب على أسئلة وجهها صاحبنا الصحفي إليه.

ولكن.. من هو " كافاكا "؟؟

يجيب المؤلف على هذا التساؤل: إنه كاتب ممثل للفكر اليهودي الصهيوني، ولطالما صدرت أوامر بإحراقه أدبياً !!

ثم يقول: وهذا الكتاب محاولة جادة لإخراج " كافاكا " من التهم الباطلة !!

ويتابع: إن هذه الأوامر التي تدعو إلى إحراقه أدبياً أنها مجحفة!! ونحن نسأل صاحبنا: متى كانت الأحكام على مدى التاريخ، ومن مختلف الأمم والشعوب على الفكر اليهودي الصهيوني مجحفة !! وهل له أن يجيب ؟؟

وهذا الموقف – موقف صاحبنا الصحفي – من ممثل الفكر اليهودي الصهيوني فتح عيني، ووجّه انتباهي، وركّز اهتمامي على مضمون الأسئلة التي وجّهها إلي والتي وجّهها من قبل للدكتور البوطي، ووسع دائرة الفرض والظن والاتهام إلى ما وراء هذه الأسئلة وإلى غايات سائلها، والأصحّ سائليها.

ماذا يستنتج القارئ، أو المثقف أو السياسي من كتاب ألفه كاتب لبناني عربي عن أديب يهودي صهيوني يمثل هذا الفكر باعتراف الكاتب نفسه ؟؟

أديب من لبنان يدافع عن كاتب صهيوني عام 1985م والصهيونية بواسطة أداتها وابنتها إسرائيل تحرق لبنان سماءً وأرضاً وبحراً !!

الصـهيونية تمطـر لبنـان قنابـل مختلفـة الأنـواع والحجـوم، وترشـفه صـواريخ، وتخـرب عمرانـه وتقتـل وتهجّـر سكانه، وتـزرع المـوت والـدمار في كل بيت وشارع وزاوية وشبر من أرضـه ثم يأتي كاتب عربي لبنـاني ليدافع عن أديب يمثل الفكر الصـهيوني !!

ونترك للمثقف الحصيف أن يجيب على تساؤلنا هذا !!

أما الكتاب الثاني الذي أهدانيه فهو – كما قلت – للدكتور البوطي – وقد أجاب عن أسئلة صاحبنا الصحفي التي وجهها إليه.

هذه الأسئلة تتعلق بالإسـلام كدين وتشريع ونظـام مجتمـع، وكلّهـا ترمـي إلـى إظهـار الإسـلام بمظهـر التشـريع المتخلـف، الـذي لا يتطـور باتجـاه الحيـاة وحركـة التـاريخ، وإلـى إظهـار المسـلمين – نتيجـة لـذلك – كفئـات متـدابرة متنـاحرة، متعـددة المـذاهب، متباينـة المشـارب، مختلفـة الاتجاهات.

وأود أن أسـتعرض بعـض فقـرات مـن الأسـئلة التـي وجهـت إلـى الدكتور البوطي ليطلع عليها من لم يستطع الحصول على الكتاب" **هذه مشكلاتهم** "

هذه الأسـئلة – علـى مـا أرى – حلقـة فـي سلسـلة الهجمـات علـى الإسـلام لـم تنقطـع منـذ أن وقـف البابـا" إيربـان " علـى منبـر مدينـة " كليرمونـت " وألقـى تلـك الخطبـة التاريخيـة داعيـاً إلـى الشـروع بـالحروب

الصليبية والتي بدت حادة وشرسة وعلى مختلف الأصعدة بعد مقتل السادات، وتسعير الحرب في لبنان.

من السؤال الأول:

الصيرورة المفهوم الفلسفي العتيد الذي رسخه " **وايتهيد** " ومقولة: الإسلام صالح لكل زمان ومكان تعادي الصيرورة وقد تعادي المنطق السليم، الماركسية الفلسفة التي حاربت الدين السماوي سقطت في مستنقع ديني أرضي وثبت أنها بحاجة إلى صيرورة.

من السؤال الثاني:

الرق شاع في الإسلام حتى عصور متأخرة، ورغم تضاربه في مفاهيمنا العصرية مع الكرامة الإنسانية كان مباحاً في الإسلام.

من السؤال الثالث:

يشبه الرق في صدر الإسلام زواج المتعة الذي نهى عنه عمر وكان مباحاً أيام النبي وأبي بكر.

من السؤال الرابع:

ألغى الإسلام الدعارة كخطوة متقدمة، لكن التسرّي لا يختلف كثيراً عن الدعارة، وإحداهن في أيام عمر تسرت بعبدها محتجة أنه ملك اليمين.

من السؤال الخامس:

واقع المرأة في الإسلام ليس حضارياً، الذكورة التوراتية تنشر أنفاسها في الفكر الإسلامي، هناك عدم تساوٍ بين المرأة والرجل في الطلاق.

من السؤال السادس:

عائشة كانت مثالاً للمعارضة في كل أيام حياتها حتى على النبي.

من السؤال السابع:

بعض أشخاص وحوادث التوراة موجودة في التراث الإسلامي.

من السؤال الثامن:

يستحيل التعامل مع التراث الإسلامي خارج القدسيات المتعارف عليها.

من السؤال التاسع:

الإسلام يعادي الإرادة الحرة.

من السؤال العاشر:

قامت ثورة على سليمان رشدي في " أشعاره الشيطانية " ولم يُطالب أحد في الغرب المسيحي بقتل ذلك اليهودي الذي عرض فيلم " تجربة المسيح ".

من السؤال الحادي عشر:

طلحة والزبير وعائشة وعلي من المبشرين بالجنة ومن يحارب مسلماً يخلد في النار وهذا تناقض صريح.

من السؤال الثاني عشر:

ما رأيكم في ما جاء في " **قس ونبي** " لأبي موسى الحريري، ودور نوفل بن ورقة في الدعوة الإسلامية ؟

هذه بعض فقرات من الأسئلة الموجهة إلى الدكتور البوطي وأجاب عنها.

هذه الأسئلة التي أعدتها وخططت لها جهات تعمل في هذا المجال، مجال إثارة النعرات الدينية والطائفية المقيتة، وقد عرفنا بعض شخصياتها والجهات التي تمولها، وتقف وراءها، وتشجعها على المضي في هذا النهج التحريضي التخريبي وندرك ويدرك العالم أهدافها وغاياتها الاستعمارية والتي تعتبر امتداداً لتلك الغزوات المعروفة تاريخياً !!

هذه الأسئلة بما فيها من تجاوز واجتراء وافتئات على الأخلاق ومقدسات الإسلام، والتي ترمي إلى إظهاره كتشريع ودين متخلفين عن

ركب الحضارة المعاصرة والشرائع السماوية والوضعية، وأنه يضع الإنسان ضمن حدود جامدة، وأطر تقليدية قاصرة عن مجاراة الحياة المعاصرة، ولا يتمتع بإرادة حرة وينظر إلى المرأة نظرة لا تتفق وروح الحياة، كما تظهر نبي الإسلام وسيلة في يدي أحد الكهان النصارى نوفل بن ورقة.

هذه الأسئلة أجاب عنها الدكتور البوطي ولكن بطريقة المعاتب لا المحاسب ولم يعامل السائل " بالمثل " الذي شرعه كتابه القرآن وقد جاء:

الشهر الحرام بالشهر الحرام، والحرمات قصاص**{فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُواْ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُواْ اللّهَ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ}**/البقرة194/.

وقوله:**{وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُواْ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرينَ}**/النحل126/.

وقوله:**{وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ}**/الحج60/.

لقد تنازل الدكتور البوطي عن التعامل بـ" المثل " وهو حقه الشرعي واستعاض بالصبر والصفح والتقوى والإيمان بنصر الله.

إن من يقرأ كتاب الدكتور البوطي " **هذه مشكلاتهم** " يدرك كم كان حليماً وحكيماً، وكاظماً للغيظ.

*****

الأسئلة والفارق بينها

يلاحظ القارئ أنّ الأسئلة الموجهة إلى الدكتور البوطي تتعلق بالإسلام كدين وتشريع ونظام مجتمع.

أما الأسئلة الموجهة إلينا فتتعلق بالإسلام كفرق ونحل ومذاهب، وبهذا يكون السائل تناول الإسلام أصولاً وفروعاً. وفي الفروع يركز على الخلاف بين المذاهب الإسلامية، ويحاول إخراج بعض هذه الفرق عن الإسلام.

والغاية – كما أشرنا في أكثر من موضع من هذا الكتاب – تبعث في نفس الإنسان المستنير قرفاً وسخطاً واستهجاناً، وفي نفس الجاهل حفيظة وإثارة، لكنها – لسوء الحظ – تحقق لدعاة " التخريب " غرضاً وغاية. تتزامن هذه الأسئلة وتتواقت هذه الإثارات، وتنشط هذه الدسائس في الربع الأخير من هذا القرن تبعاً للتحرك السياسي المحموم في المنطقة العربية.

وقد نرجع قليلاً إلى الوراء وتحديداً إلى 1970م أي بعد أن اتجهت سورية اتجاهاً قومياً وطنياً صادقاً ومنضبطاً ومتحدياً متجاوباً مع الأماني والآمال القومية العليا وتطلعات جماهير الأمة إلى الوحدة الشاملة وبعد اتفاقية " **كامب ديفيد** " التي أحدثت شرخاً عميقاً في جسم التضامن العربي، وحققت للإمبرياليين والصهيونية ما يصبوا إليه (راجع ص6) وبعد موقف سورية الصلب العنيد الصامد المتحدي من هذه

الاتفاقيـة، بعـد هـذا كلـه وفـي غمـرة هـذا البحـران السياسـي نشـطت المؤامرات والإذاعات وكلّ وسائل الإعلام المعادية، وكل ضروب الحرب النفسية وتحرك عملاء الاستعمار وأعوانه في المنطقة تحركاً محمولاً، ولكن سورية بوضعها الداخلي المتماسك القوي السليم صمدت لكلّ هذه المؤامرات.

ولا رباك سورية وإشغالها وعرقلة نموها، وإعاقة تقدمها، واستنزاف قواها عمدت الإمبريالية والصهيونية إلى غزو لبنان، وزرعت البحر أساطيل، والسماء قاصفات قاذفات، والأرض مشاة وناقلات، والشواطئ " مارينز " !!

ونشطت المؤسسات الاستشراقية والتبشيرية وعملاؤها بإصدار الكتب التي تكتظ صفحاتها بالدس على الأمة العربية ماضياً وحاضراً، ودأبت على محاولة خلق التناقضات بين الفئات والعناصر، ونبش سلبيات التاريخ بغية نشر الفتن، وإيجاد الوقيعة بين أبناء الأمة الواحدة.

عرف قراء ومثقفو هذه المرحلة عبد الحسين مهدي العسكري، والحسيني عبد الله، ومصطفى جحا، وأبا موسى الحريري، وأنور ياسين، وكلها أسماء مستعارة، كما عرفوا عبد الرحمن بدوي وفرسان " الحقيقة الصعبة ".

ما قام به هؤلاء من التحريض وافتراء أعاد إلى ذاكرة الأحفاد ما وقع في القديم للأجداد من أمثال هذه الكتب كالمستظهري وفتاوي ابن تيمية ونوح الحامدي والتاريخ كما قيل: يعيد نفسه !! أو كما قيل: التاريخ سجل حماقات الإنسان !!

ونرى لزاماً علينا، وإلزاماً لنا، والتزاماً أما الحقيقة أن ندعو كل مفكر نقي الوجدان، حر الضمير، نبيل المقاصد، شريف المواطنة، نزوع بطبعه إلى الحس الإنساني، أن يعمل جاهداً، ويمضي مجاهداً، لكمّ هذه الأفواه الناعقة، وتحطيم هذه الأقلام المارقة المنافقة، وإطفاء لهيب هذه الفتن، ولجم شفاه النافخين فيها، وفضح أعمالهم، وإعلان عمالتهم .

ونقول: لولا الخشية من أن تأخذ هذه النزوات والنزعات والأفكار الهدامة، طريقها إلى نفوس الجماهير، ثم إلى التاريخ، وتصبح– كغيرها– تاريخاً للمستقبل لكان الأجدر بها الإطراح والإهمال لا الحوار والنقاش !!

*****

الإسلام

قبل الدخول في الموضوع – موضوع هذا الكتاب – نسوق بين يدي البحث بعض آراء علماء الغرب المسيحي وفلاسفته ومؤرخيه في الإسلام.

1- يقول المستشرق سبينر: لا يستطيع عالم أن يتأمل القبة الزرقاء دون أن يلفظ اسماً عربياً، ولا يستطيع عالم طبيعي أن يحلل ورقة من الشجر، أو يفحص صخرة من الصخور دون أن يتذكر درساً عربيّاً، ولا يقدر أي قاضٍ أن يبتّ اليوم في اختلاف دون أن يستدعي مبدأ أملته العرب، ولا يسع أي طبيب أن يتأمل دائرة أحد الأمراض المعروفة منذ القدم إلا أن يهمس بآراء طبيب عربي، ولا يستطيع أي رحالة أن يدلف إلى أبعد من زوايا آسيا وأفريقيا دون أن يعمد إلى اللغة العربية.

2- يقول اللورد هدلي: لو ندبت لجنة من الإنكليز الأكفاء لفحص الدين الصالح لأن يتدين به العالم كله لأجمعوا على اختيار الإسلام.

3- يقول جورج سارتون الأميركي: إن المسلمين يمكن أن يعودوا إلى عظمتهم الماضية، وإلى زعامة العالم السياسية والعلمية كما كانوا من قبل إذا عادوا إلى فهم الحياة في الإسلام، والعلوم التي حثّ الإسلام على الأخذ بها[1].

1- الشرق الأوسط.

4- ويقول الفيلسوف الألماني " غوته " أن أية شريعة لن تتمكن من أن تعلو فوق شريعة محمد، وأن التشريع في الغرب ناقص على الرغم من تقدمه، ناقص بالنسبة للتعاليم الإسلامية، وأننا أهل أوروبا بجميع مفاهيمنا لم نصل بعد إلى ما وصل إليه محمد، وسوف لا يتقدم عليه أحد.

5- يقول أرنولد توينبي: إنّ الإسلام استنكر الشرك، واستمد عبادة الإله الواحد الذي دعا إليه إبراهيم من قبل، وإن الإسلام لم يدخل في معركة مع رسالة عيسى، ولكن مع الكنيسة المسيحية التي استولت على عقول الروم، واستسلمت إلى ما دعت إليه الوثنية الإغريقية من الشرك. وعبادة الأصنام، وغن عقيدة التوحيد التي جاء بها الإسلام هي أروع الأمثلة في فكرة توحيد العالم، وفي بقاء الإسلام أملاً للعالم كله.

6- ويقول هوكنج أستاذ الفلسفة في جامعة هارفارد الأمريكية: إن في نظام الإسلام كل استعداد داخل للنمو، بل أنه من حيث قابليته للتطور أفضل بكثير من النظم المماثلة، وعندي أن الصعوبة لم تكن في انعدام وسائل النمو والنهضة في الشريعة الإسلامية، وإنما في انعدام الميل إلى استخدامها، وإني أقرر أنّ الشريعة الإسلامية تحتوي بوفرة على جميع المبادئ اللازمة لنهضتها.

7- ويقول غاندي: ليس الإسلام ديناً باطلاً فليدرسه الهندوس باحترام ويحبّوه كما أحببته، وقد غدوت مقتنعاً كل الاقتناع أنه ليس السيف هو الذي جعل للإسلام مكانة في معترك الحياة بل أن بساطة النبي التامة وإنكاره الكلي لذاته واحترامه وبسالته وثقته الكاملة بالله وبرسالته، هذه – لا السيف – هي التي جرفت كل شيء أمام المسلمين الأولين.

8- يقول كارليل في كتابه الأبطال: لقد كان اعتبار الرجل العظيم إلهاً غلطة وحشية فاحشة، ولقد أصبح من أكبر العار على أي فرد متمدين من أبناء هذا العصر أن يصغي إلى ما يظن أن دين الإسلام كذب، وأن محمداً خداع مزوّر، وآن لنا أن نحارب ما يُشاع من مثل هذه الأقوال السخيفة المخجلة، فإنّ الرسالة التي أداها ذلك الرسول ما زالت السراج النير مدة اثني عشر قرناً لنحو مائتي مليون من الناس[1].

وأسفاه ما أسوأ مثل هذا الزعم، وما أضعف أهله، وأحقهم بالرثاء والرحمة، فعلى من أراد أن يبلغ منزلة ما في علوم الكائنات أن لا يصدق شيئاً البتة من أقوال أولئك السفهاء، فإنها نتائج جيل كفرٍ وعصر جحودٍ وإلحاد، وهي دليل على خبث القلوب وفساد الضمائر

1- هذا ما قاله فيلسوف غربي منذ مئتي عام أو يزيد، واليوم أصبح العالم الإسلامي يزيد على مليار إنسان.

وموت الأرواح في حياة الأبدان، ولعلّ العالم لم ير قط رأياً أكفر من هذا وألأم.

نقول: هذا ما يراه كارليل في أبناء جلدته منذ مئتي عام، وهذا ما نراه في بعضهم بعد مئتي عام، هذا ما رآه عاراً على كل فرد متمدين من أبناء عصره، وهذا ما نراه عاراً على كل فرد متمدين من أبناء عصرنا. والذين لا يرونه عاراً لا يطلق عليهم اسم متمدينين.

9- يقول ستيفن رنسيمان مؤرخ الحروب الصليبية المعاصر 1950م: ما اشتهر به محمد من عبقرية فذة رائعة كانت شديدة الملاءمة لهذه الأحوال إذ كان ينتمي إلى المدينة المقدسة مكة، وهو من فقراء عشيرة كبيرة بمكة وهي قريش، ارتحل كثيراً وشهد العالم ودرس ديانته واسترعى اهتمامه بصفة خاصة المسيحية المونوفيزتية، غير أن عقيدة التثليث تراءت له أنها لا تتفق مع فكرة التوحيد الخالصة التي اجتذبته إليها الحنيفية.

إنّ محمداً خلف نظاماً متيناً كفل له القرآن البقاء والدوام، وهذا الكتاب المجيد - القرآن - الذي جمع الحكام وقراراته لم تشمل المثل العليا، والنوادر الرائعة فحسب بل حوى أيضاً القواعد التي تيسّر سلوك الحياة والأصول التي تسير عليها حكومة إمبراطورية، ومجموعة كاملة من القوانين، وكان القرآن من السلاسة والسهولة مما حمل العرب

المعاصرين على تقبله في سهولة ويسر، وبلغ من الشمول ما جعله يلائم حاجات البلاد الشاسعة التي كان لا بد لخلفائه أن يقيموها، والواقع أن ما للإسلام من قوة إنما يرجع إلى بساطته، فلا إله إلا الله في السماء ولا يحكم على الأرض إلا أمير المؤمنين، والذي لا يحكم إلا بقانون واحد هو القرآن[1].

هذا وكثير من الأدلة والشهادات لعلماء الغرب والشرق من أرباب الفلسفة والدين والاجتماع والتشريع في تقدم الإسلام على غيره من الشرائع السماوية والوضعية.

*****

المعارضة السياسية في الإسلام

المعارضة ظاهرة تكاد تكون طبيعية في حياة الأفراد والجماعات، وتنشأ عادة من الخلل في التركيب الاجتماعي، كالتفاوت المادي أو الفكري

1- الحروب الصليبية لستيفن رنسيمان المجلد الأول.

ويبرز الأخلاقيون المعارضة باعتبارها دفاعاً عن الحرية الفردية، أو الجماعية، وبأنها طلباً أو نزوعاً إلى المساواة.

قبل البعثة المحمدية نازع أمية بن عبد شمس بن عبد مناف عمه هاشم بن عبد مناف على سدانة الكعبة لما كان لها من فضل وشرف في حياة القبائل العربية.

هذا النزاع دعا رؤساء القبائل العربية إلى الاجتماع في دار الندوة – الذي يشبه المؤسسات البرلمانية اليوم – وأصدروا حكماً على أمية بن عبد مناف بن عبد شمس بتغريمه مئة من الإبل، والجلاء عن مكة لمدة من السنين جراء تطاوله على حقّ عمه !

انقسم بيت عبد مناف عقب ذلك إلى قسمين أموي وهاشمي وتبع كل قسم بعض من القبائل العربية.

من هنا من هذا الانقسام تشكلت النواة الأولى للمعارضة التي ظهرت فيما بعد في الإسلام.

برزت هذه المعارضة في بدء الدعوة الإسلامية ممثلة بأبي سفيان ممثل البيت الأموي، ضد محمد بن عبد الله ممثل البيت الهاشمي، واحتدم الصراع والنزاع والغزوات والمؤامرات حتى انتصرت الدعوة على المعارضين، وخبت نار المعارضة تحت قوة الدعوة والتفاف العرب حولها.

وانطلقت المعارضة عقب وفاة الرسول(ε) مباشرة والاجتماع في سقيفة بني ساعدة حيث تغيب الهاشميون عن حضور السقيفة، وحيث بويع أبو بكر بالخلافة، وظهر الحزب الحاكم، والمعارض.

ونجد هنا قولين في التاريخ، فأنصار الهاشميين يقولون: إن امتناعه عن المشاركة كان بسبب انشغالهم في تشييع جثمان الرسول ودفنه.

والآخرون يقولون لو لم يحسم الخلاف الذي حدث في السقيفة بين الأوس والخزرج والمهاجرين والقريشيين لوقعت الفتنة واحتكم القوم إلى السيوف وقضي على الإسلام في مهده.

وكلا القولين له وجاهته، هذا إذا أردنا أن نحلل الموقف تحليلاً منطقياً وحيادياً.

شهدت الساحة تشكيل ثلاثة أحزاب: حاكم، ومعارض، وحيادي يراقب الأمور.

لم يفد أبو سفيان ممثل الحزب الأموي من تحريضه علي بن أبي طالب وعمه العباس على معارضة الخليفة أبي بكر، ولم يأخذا بقوله: (ما لأبي فصيل" اسم أطلقه أبو سفيان على أبي بكر " وهذا الأمر – أي الخلافة – إن هذا الأمر خاص بهذا الملأ من قريش).

ويمكن قوله: إن ظهور المعارضة وما دار في سقيفة بني ساعدة من النزاع كان عاملاً قوياً من عوامل " ردة " العرب التي أعقبت خلافة أبي بكر.

ولم تتحرك " المعارضة " في أيام الخليفة الثاني، ولكنها لم تمت نهائياً، وساعد على سكون المعارضة أن علياً رأس بني هاشم تعاون مع الخليفتين بالرأي والمشورة، وبكل ما يعود على المسلمين بالنفع والخير.

وفي خلافة عثمان انتقل الحزب الأموي المعارض إلى السلطة والحكم، واستأثر بهما دون المعارضين مما دعا إلى توسيع نطاق المعارضة، وحدوث الفتنة، ومقتل الخليفة الراشد الثالث.

وبعد مبايعة علي بن أبي طالب انتقل الحزب الهاشمي من المعارضة إلى السلطة، وانتقل الحزب الأموي إلى " المعارضة " بقيادة معاوية بن أبي سفيان.

وانتصرت " المعارضة " بمقتل الخليفة الراشد الرابع واستلمت السلطة.

وتحركت " المعارضة " بقيادة الحسن بن علي وانتصر الحكم عليها بالمبايعة.

وتحركت المعارضة بقيادة الحسين وكانت موقعة كربلاء، وانتصر الحكم، وانقسم المسلمون إلى معسكرين: حاكم شديد قاس على

معارضيه، ومعارضة لا تهدأ ولا تهادن. وفي هذا الجو المشحون بالشدة والملاحقة، والمؤامرة والمناورة شمّرت الشعوبية عن ساقيها وجندت أحقادها على الإسلام، وعملت على توسيع الشقة وإلحاق الوقيعة بين المعسكرين فحرّضت هذا، ودفعت ذاك، وناصرت هذا سرّاً، وتآمرت من ذاك علناً، ووضعت الأحاديث الملفقة، والأخبار والروايات المكذوبة لتكسب هذا الصراع صفة الدين، لتأريث الخلاف، وتعميق الأحقاد.

وضعت المؤلفات وألقيت الخطب، وذاعت الأشعار التي تنتقص من حقّ المعارضة وتصمها بالخروج على الدين والغدر بالمسلمين.

وبالمقابل وسعت نطاق المعارضة، وهيأت لها أسباب الثورة على السلطة، وظهرت أعلام العباسيين السوداء، وانتصرت المعارضة وسقطت الدولة الأموية العربية، وانقسم الهاشميون على أنفسهم فاستأثر العباسيون بالأمر، واعتبروا أبناء عمّهم من عناصر المعارضة ولاحقوهم وشرّدوهم وفعلوا بهم الأفاعيل.

وتوسعوا في استجلاب العلماء وتجنيدهم في خدمة السلطة، ودعمها ودعم حقها، والعمل على كل مايشين " المعارضة " فانطلق المؤرخون والشعراء والعلماء والفقهاء في هذا السبيل – سبيل دعم السلطة بكل الوسائل والتشنيع على المعارضة بكل الوسائل.

وبعد سقوط بغداد/ 650 / على يد هولاكو – ويقال أن لعناصر المعارضة يد كبرى في هذا السقوط – وبعد قيام الحكم الشعوبي اشتد الضغط على العناصر العربية " المعارضة " وتحريض العلماء والفقهاء على التأليف، وإصدار الفتاوي التي تمكن السلطة من تصفية " المعارضة " باسم الدين.

وجاء المستشرقون وغاياتهم معروفة، ومكايدهم موصوفة فأقبلوا بنهم وشغف على هذه التركة، والتي تمكّن لهم من أعمال معاولهم هدماً في الإسلام، وتمزيقاً في فئاته.

نفخ المستشرقون في رماد الفتنة فأسعروا نارها، ونفشوا في تاريخ الإسلام سمومهم، ونشروا في سمائه غيومهم، مستغلّين تلك الخلافات التاريخية، وذلك الركام الذي تركته الشعوبية في الحياة العربية الإسلامية، عبر هذه القرون، متخذين من كل حادثة وسيلة، ومن كل خلاف ذريعة.

وسنأتي بنماذج من هؤلاء المستشرقين في غير محلّ من هذا الكتاب.

مراحل الصراع
بين الغرب والشرق العربي

ليكون القارئ على بينة من أمره، وليدرك أسباب المعاناة التي يكابدها هذا الشرق العربي، هذه المعاناة التي تتجلى في هذا الغزو الثقافي- السياسي- الاقتصادي- الفكري- العسكري- الاستيطاني.. لإدراك كل هذا عليه أن يستعرض التاريخ والتاريخ سجل حركات الإنسان والمخبر عما كان.

ونضع بين يدي القارئ العربي لمحة تاريخية - مختصرة ومختصرة جداً- ولكنها تشير إلى دوافع هذا الغزو وتطور مراحله.

*** المرحلة الأولى:**

قبل المسيحية والإسلام كان يحكم العالم إمبراطوريتان هما: الرومانية والفارسية.. هاتان الإمبراطوريتان كانتا تتنازعان على هذه المنطقة من الشرق، وتتقاسمان النفوذ فيها، فالإمبراطورية الفارسية كانت تبسط سيادتها على الجزء الشرقي من المنطقة العربية الممتد من حدود بلاد فارس من الشمال إلى العراق وسواده وامتداده جنوباً وحلفاؤهم المناذرة اللخميون ومقرهم الحيرة.

والرومان يبسطون نفوذهم على القسم الغربي الذي يبدأ شمالاً من حدود آسيا الصغرى، ويمتد جنوباً عبر سوريا حتى بيت المقدس، وحلفاؤهم الغسانيون ومقرهم بصرى ودمشق.

وكانت الصراعات تنشب في هذه المنطقة بين الإمبراطوريتين ويكون الثمن دماً عربياً، ومن هذه المعارك أن المنذر الثالث اللخمي حارب الروم مراراً وانتقم لهم منه الحارث بن جبلة الغساني فقتله في معركة أطلق عليه اسم ابنته حليمة، ودعي بيوم حليمة، وفي بعض هذه الحروب التي خاضها الغسانيون واللخميون لحساب الفرس والرومان استطاع الغسانيون أن يحرقوا الحيرة عاصمة اللخميين في عهد المنذر الثالث عام/ 580 / ومع هذا فغن الفرس بلغ من استهانتهم بالعرب أن قتلوا أحد ملوكهم النعمان تحت أرجل الفيلة.

وانفرط عقد التحالف العربي في معركة القادسية، وانطوت حمر البنود الفارسية، كما تقلص ظل الرومان عن الجزء الغربي من المنطقة العربية في معركة اليرموك، والتي اختتمها هرقل بتلك الجملة المريرة:

وداعاً يا سوريا وإلى الأبد.

*** المرحلة الثانية:**

لما بُعث محمد(ε) برسالة الإسلام كانت اليهودية والمسيحية والوثنية تسود أقوام الجزيرة العربية كما كان يوجد أتباع للحنيفية.

صارع الإسلام الوثنية فقط، وتغلّب عليها ودخل العرب في دين الله أفواجاً، امتدح الإسلام أهل الكتاب واعترف بأنبيائهم ورسالة التوراة والإنجيل، والقرآن جاء مصدقاً لما بين يديه من التوراة والإنجيل.لكن اليهود في يثرب وخيبر وغيرهما من البلاد رأوا في الدين الجديد خطراً على تقاليدهم ونفوذهم وتجارتهم، وتهديداً لسيطرتهم على الحياة المادية في مكة والمدينة، والقبائل العربية التي كانت بمثابة " سوق استهلاك " لسلعهم واستثمار أموالهم، فحرّضوا وتآمروا على الدعوة الجديدة ولكن الإسلام استطاع أن يقضي على مؤامراتهم فاستكانوا وقد انطوت صدورهم على حقد دفين.

*** المرحلة الثالثة:**

في أحد أيام شباط من عام/ 638م / دخل إلى بيت المقدس الخليفة عمر بن الخطاب راكباً جملاً أبيض اللون مرتدياً ثياباً غاية في البساطة فاستقبله البطريرك صفرُنيوس الذي رفض أن يسلّم بيت المقدس إلا إلى خليفة المسلمين بعد حصار طويل.

يقول ستيفن رنسيمان مؤرخ الحروب الصليبية: قبل المسيحيون في الشرق عن طيب خاطر سيطرة سادتهم المسلمين[1].

1- تاريخ الحروب الصليبية المجلد الأول. (2، 3) المصدر نفسه.

4- هناك من يشك في هذا الأمر.

ويقـول بطريـرك أنطاكيـة اليعقـوبي ميخائيـل السـرياني: إنّ الله المنتقم الواحد القهار أثار من الجنوب أبناء إسماعيل لإنقاذنا من أيدي الرومان[2].

ويقـول المـؤرخ النسـطوري: إن قلوب المسيحيين انشرحت لسيادة العرب، فليزد الله هذه السيادة قوة، وليجعلها زاهرة[3].

وفـي معركة اليرموك الحاسمة انحاز الغسانيون بقيادة أمرائهم إلـى معسكر العرب المسلمين وكان عددهم اثنـي عشر ألفاً، وكان لهم أثر بارز في هزيمة الرومان[4].

ويعلل مؤرخو الحروب الصليبية الغربيون أن أسباب الهزيمة هي الخطيئة الكبرى التي ارتكبها هرقل وهي تزوّجه من بنت أخته " مارتينا " وهذا التعليل لصرف الأنظار عن قوة المسلمين المادية والمعنوية.

*** المرحلة الرابعة:**

في أقل من ثمانين سنة بسط الإسلام رسالته على الشام ومصر وشمال أفريقيا، وتقلص سلطان الرومان عن هذه الرقعة المترامية، استجاب الكثيرون لدعوة الإسلام لما لمسوه من التسامح وما عرفوه من العدالة والمساواة في طبيعة الدعوة وتشريعها، ولأن بعضهم عرب في

أنسابهم وأعراقهم، واللغة الجامعة هي العربية، ولأنّ الرسول عربي(راجع أبيات مارون عبود /ص21/ من هذا الكتاب)، ولأن الحكم الروماني كان بغيضاً إلى الشعوب والأقوام لما ألحقه بها من الإذلال والإرهاق، وأنزله من الظلم والعسف والجور.

بعد هزيمة الرومان في معركة اليرموك انتقل الصراع من الرومان إلى البيزنطيين بحكم الجوار والتحاك مع المسلمين.

فبيزنطة التي تجاور العالم العربي- الإسلامي من الشمال أصبحت تنظر بهلع وخوف وتوجس وجزع إلى قوة المسلمين، وتتذكر ما انتزع منها من البلاد باعتبارها وريثة الإمبراطورية الرومانية، وتتحيّن الفرص للانقضاض على العالم الإسلامي واختراقه من الشمال.

واستمرت الغارات المتبادلة مدة أربعة قرون، واشتد سعيرها في أيام الإمارة الحمدانية وأمرائها، ولقد ذكر بعض هذه الحروب المتنبي شاعر العرب الكبير كما أشار إلى بعضها قبله الشاعر أبو تمام، وأطلق عليها المؤرخون اسم " حرب الثغور " وأطلق عليها العرب اسم " الصّوائف والشواتي ".

*** المرحلة الخامسة:**

بعد سقوط الإمبراطورية الرومانية على يد برابرة الشمال بستة قرون قامت فكرة الحروب الصليبية في نفوس الفرنجة الأوربيين، وكان الإسلام

بلغ مدى كبيراً من السعة على رقعة ممتدة من الصين إلى الهند إلى أقصى الأندلس، إلى قلب أفريقيا. وأنشأ حضارة نبيلة قوية متماسكة، وأصبحت بيزنطة محصورة في الشمال.

في هذه الفترة انطلق الرهبان يجوبون أوروبا من أقصاها إلى أقصاها ليجمعوا أشتاتاً من الأقوام مستثيرين حماسهم الديني، داعين إلى استرجاع الأماكن المقدسة مبشرين بالنعيم الأبدي للمشاركين في هذه الحرب المقدسة، مقدمين السلاح والأموال للجنود.

وكان أكثر الدعاة حماساً وإثارة ونشاطاً البابا " إيربان " الذي وقف على المنبر في مدينة " كليرمونت " فألقى خطبته النارية الحاضة:

(يا شعب الفرنجة، يا شعب الله المختار، إنّ شعباً أبعد ما يكون عن الله قد طغا وبغى في بلاد المسيحيين...الخ).

وعقب هذا النداء والتحرض تحركت أوروبا ملوكاً وأمراء وإقطاعاً وشعوباً – على ما بينها من خلاف وتعادٍ – وتدفقت الجيوش إلى الشرق، واكتسحت بطريقها بلاد المسيحيين البيزنطيين أنفسهم، واجتاحت ديارهم – وأراقت دماءهم، ونهبت أقواتهم في الكثير من شرق أوروبا، وبعض آسيا الصغرى، واضطر إمبراطور بيزنطة أن يخضع للأمر الواقع.

أخذت هذه الجيوش الجرارة تتوغل في بلاد الإسلام داحرة كل القوى التي اعترضت سبيلها حتى بلغت بيت المقدس، فأقامت ما دعوه بالممالك والإمارات الصليبية ، واضطر العديد من ولاة وملوك وأمراء المسلمين لعقد الاتفاقيات معها.

وقد استمر الصليبيون في هذا الشرق قرابة مئتي عام من سنة/1095م / إلى سقوط عكا آخر حصن لهم سنة/1291م/.

الحملات الصليبية وتاريخها وقادتها ونتائجها

رقم الحملة وتاريخها	القادة	النتائج
الحملة الشعبية 1095م	بطرس الناسك	قضى على الأتراك في البلقان
الحملة " 1 " 1096– 1099م	دعا إليها البابا أوربانس وغودفري دي بوبون بهمند تانكر يد ريمون دي سان جيل	احتلال القدس 1099م مملكة القدس اللاتينية
الحملة " 2 "	دعا إليها القديس برنردس لويس 7 ملك	حصار دمشق الفاشل

1147 – 1149م	فرنسا كونراد 3 إمبراطور جرمانيا	
الحملة " 3 " 1189 – 1192م	دعا إليها فيليب أوغست ملك فرنسا، فردريك بربروس إمبراطور جرمانيا، ريكارد قلب الأسد ملك إنكلترا	احتلال قبرص وعكا
الحملة " 4 " 1204م	بودان دي فلاندر برتيناس دي مونفيرا	إمبراطورية القسطنطينية اللاتينية
الحملة " 5 " 1217 – 1221م	أندراوس ملك المجر، جان دي بريين ملك القدس	استرجاع الصليب
الحملة " 6 "	فريدريك إمبراطور جرمانيا	استعادة القدس والناصرة عن طريق المباحثات
الحملة " 7 " 1248 – 1254م	لويس 6 ملك فرنسا بعد مجمع ليون 1245م	احتلال دمياط
الحملة " 8 "	لويس 9 ملك فرنسا	أسر الملك في المنصورة حملة فاشلة على تونس مات الملك أثناءها

الاستشراق والمستشرقون

استشرق، لغة طلب الشرق لأنّ وزن استفعل من معانيه الطلب: استغفر، استعطى. والمستشرقون جماعة من علماء الغرب يعملون في آداب وتاريخ وعلوم شعوب الشرق باسم نشر الثقافة، وإنارة الأفكار، وتنمية المدارك، وتوسيع دائرة المثاقفة، فمتى عرف الشرق هؤلاء الرادة ؟ وكيف ؟ ومتى ؟

سقطت القسطنطينية عاصمة بيزنطة سنة 1453م على يد محمد الفاتح.

سقوط هذه العاصمة هزّ أركان الغرب الأوروبي !! إنه نذير خطر أكيد، يهدد حدودهم، ويحدّ من نفوذهم، ويقضي على آمالهم وأطماعهم، ويضيق دائرة تطلعهم.

لم تكن القسطنطينية – وقد انفصلت عن الغربيين كنيسة وسياسةً – لتثير اهتمامهم، وتستأثر بتفكيرهم لولا هذا المصير الذي لاقته هذه العاصمة، وهي التي أنشئت– أول ما أنشئت – لتقف في وجه الإمبراطورية الفارسية، وهي التي تحملت أعباء الصراع طوال عهود طويلة مع جيرانها الجنوبيين العرب المسلمين، ثم انتهى بسقوطها.

أدرك الفرنجة الأوربيون في هذه المرحلة وبعد تجاربهم وحملاتهم السابقة والتي انتهت إلى الفشل أن اللجوء إلى القوة والاحتكام إلى السلاح غير مأمون النتائج، إضافة إلى ما يرافقه من إراقة الدماء، وإزهاق الأرواح وتدمير البلدان.

لقد استخلصوا شتى العبر من تجاربهم السابقة وعليهم أن يجدوا طريقة أجدى لحركتهم اللاحقة !! والطريق الجديدة التي أجمع عليها علماؤهم وقادتهم السياسيون ومفكروهم الاجتماعيون هي التخلي – في هذه المرحلة –عن القوة واستبدالها بطريقة التسلل إلى النفوس والتلاعب

بالعواطف، والالتفاف على التاريخ، وتغيير اتجاه الثقافة لتغيير النظرة إلى الحياة، أو ما يعبر عنه بعلم السياسة بالفصل والوصل، أي فصل الفرد أو الجماعة أو الأمة عن التاريخ والتراث والماضي، ووصله بما لدى الآخرين وتكوين حاضر لا يرتبط بماضٍ.

وبما أنّ الفرنجة الأوربيون قد عرفوا فيما مر عليهم من سني التجاور كثيراً من أخلاق وعادات وسلوك العرب المسلمين، وتعلم الكثيرون منهم لغة العرب، وقرأوا الكثير من كتبهم وتاريخهم، وخبروا مواطن القوة، وأماكن الضعف في بنيتهم الاجتماعية، وتعمقوا بدرس خلافاتهم الطائفية والقبلية والمذهبية، فقد عرفوا كيف يعدون لكل أمر عدته، ويلبسون لكل يوم ثوبه، فهيأوا كل الوسائل وجهزوا الأشخاص بعد تخصصهم في مدارس أعدت لهذه المهمة، ثم نشروا هؤلاء الأشخاص في بلاد العرب والمسلمين، مزودين بكل ما يكفل لهم النجاح، ويحقق الغرض، ويوصل إلى الغاية.

توزع هؤلاء الأشخاص بحسب مهامهم تحت ستار نشر العلم وترويج الثقافة، والإطلاع على الأوابد، والتنقيب عن الآثار، والحج إلى الأماكن المقدسة، ومنهم من اعتنق الإسلام، وبدأ عصر الاستشراق.

وأعقب المستشرقون مواكب المبشرين الإنسانيين !!! فأقاموا المؤسسات الثقافية من مدارس ومعاهد وجامعات ومطابع وصحف

ودور نشر وشركات توزيع ومكتبات ودعاية وإعلان، وترجموا الكتب، ونشروا المخطوطات، وأقبل أبناء البلاد على هذه المؤسسات يعبون من مائها، ويسكرون بصهبائها ولم يدركوا ما يبيت لهم، أو يراد منهم، وقديماً تلذّذ الهرّ بابتلاع دمه وهو يلحس المبرد.

نشأ جيل من الشباب أتقن لغة القوم وأغفل لغته، وتشبه بثقافتهم وجهل ثقافة قومه، وتخلق بأخلاقهم وتنكر لأخلاق أمته فأصبح لا يرى إلا بأعينهم ولا يزن إلا بموازينهم، فتولهم – لدعاة الاستعمار – أعوان وأنصار ودعاة.

أوردت موسوعة المستشرقين التي أصدرتها دار العلم للملايين أكثر من مئتي اسم من أسمائهم، ونوهت بتآليفهم في مختلف العلوم وخاصة في تاريخ الشرق والعرب والإسلام والمسلمين.

كلهم مزودون بالعلم والمعرفة، ولكنهم بالوقت ذاته مزودون بالغرض والغاية، ومحكومون بالفكرة الثابتة، الفكرة التي لا يستطيعون منها انفكاكاً ولا عن سبيلها انحرافاً.

إنهم يحلّلون الحوادث التاريخية بطريقتهم الغربية، وعقليتهم الأوروبية، ووفق مناهجهم الثقافية وهي تختلف عن طريقتنا في التحليل، وتخالف مناهجنا في ربط الأحداث بالزمان والمكان والأشخاص.

إنّ الكثير من القضايا الهامة في التاريخ العربي- الإسلامي واضحة كلّ الوضوح موثقة بأقوى الوثائق ومع ذلك يأبى هؤلاء المستشرقون إلا أن يحيطوها بهالة من التشكيك لصرف نظر القراء عن وضوحها وصحتها.

هذا ما نراه ونلمسه ونتبينه عند المعتدلين منهم، والذين يمررون أفكارهم بلباقة وهدوء إلى عقول ناشئتنا وجماهيرنا.

أما الفئة الأخرى فلم تلتزم بأبسط مبادئ الأخلاق في ما تكتبه، ولا تقيم وزناً لمشاعر الآخرين أو احترام عقائدهم، بل تجاوزت كل حد، وهزّأت بكل قيمة اجتماعية، وأطلقت لأفكارها الحرية بالتحدي، ولأقلامها العنان بالتصدي، وكيف لا تفعل كل هذا وهي تحمل كل هموم الغرب وكراهية الشرق.

وإلى القراء نماذج من هذه الفئة، التي لم تكتفِ بما وضعته من تآليف ونشرته من دعايات، بل عمدت بالتعاون مع مؤسساتها إلى وضع الموسوعات العامة ليبقى عملها – على زيفه – مصدراً للباحثين ومنطلقاً للدارسين.

المستشرقون:

1- فانتور:

فانتور مستشرق داهية محنّك متستر خفيّ الوطء، أمضى أربعين عاماً يتجول في ديار الإسلام يراقب ويرصد ويرسم ويخطط، وفجأة يظهر – وفي الوقت اللازم – في طليعة الحملة الفرنسية التي قادها نابليون على مصر.

لعب الاستشراق دوراً كبيراً وخطيراً في مصر، لما لها من أهمية في العالمين العربي والإسلامي ولأن موقعها يعتبر مدخلاً رئيسياً لمنطقة الشرق الوسط، فتوارد إليها المستشرقون حملة هموم الغرب في كل شكل وزي، وطريقة ووسيلة تارة باسم العلم والمعرفة، وطوراً باسم السياحة والإطلاع، ولعل أخطرهم شأناً وأكثرهم كيداً من تزي بزيّ المسلمين، وتظاهر بما يرضيهم، فصام بصيامهم، وخالط جماهيرهم وصلى بصلاتهم، وأقام بين ظهرانيهم أمداً طويلاً فدرس عاداتهم وتثقف بثقافتهم، وتعمق بدرس لغتهم واطلع على كلّ شاردة وواردة من تاريخهم.

وهل يخطر ببالك أنّ نابليون الذي دوّخ أوروبا وأذلّ ملوكها وأمراءها وقادتها كان تلميذاً نجيباً وأداة طيعةً في يد هذا المستشرق " فانتور " وجماعته من المبشرين وأنهم اقتادوه صاغراً ليقوم بمغامرته في غزو الشرق ليعيد مجد أسلافه المضاع، ويجدد الإمارات الصليبية التي دامت مئتي عام، ويريح أرواح أولئك الغزاة الذين غادروا الأماكن المقدسة مدحورين عائدين بالخيبة والخسران إلى أوروبا.

يقول الأستاذ محمد أحمد شاكر في كتابه " المتنبي " أنه " أي فانتور " شيطان نابليون ومستشاره وخليله ونجيّه، لا يفارقه في الحل ولا في الترحال، يرسم له الطريق، ويعين له، المدى ويحدد له الهدف، ويقدم النصح والإرشاد.

ولقد وصفه " الجبرتي " الصغير في تاريخه بما يتلاءم مع هذا الوصف، وقد أغرى نابليون وزين له غزو الشرق ليعيد مجد أجداده ويسترد ما فقدوه من الممالك والإمارات أثناء غزاة الصليب ويقيم إمبراطورية شرقية، دفيقة الخيرات غزيرة الموارد مترامية الأطراف، فجاء بتلك الحملة المؤلفة من 36 ألفاً من الجنود والقواد والأدلاء والخبراء، مزودة بكل ما عرفه ذلك الزمن من أدوات الفتك والتدمير، ولعل أفتك تلك الأسلحة – على اختلافها – وأخطرها على الأمة وتاريخها وحضارتها وتراثها ومقوماتها وخصائصها هم أولئك المستشرقون " فانتور ولفيفه – الذين رصدوا الحركات والسكنات وعينوا نقاط الضعف ومسارب التسلل إلى حياة مصر.

فانتور الذي يحمل في صدره وعلى كاهله هم الغرب ويعتلج في قلبه كرة العرب والإسلام ويختلج في صدره سميم العداء لشعوب الشرق، فانتور هذا يقود بربرياً متغطرساً مستخفاً بكل القيم – وإن ظهر بزي متحضر– فيدمر حضارة شعب، ويوقف حركة تقدّمه، ويشل قوة تطلعه،

ويطمح أن يوسع دائرة إمبراطوريته إلى أبعد من مصر.. إلى سورية ولكنه يرجع ذميماً دحيراً هزيماً عن أسوار عكاز

لقد أوحى المستشرق الداهية إلى البربري المتحضر أن المسلمين في مصر يستجيبون للنزعة الدينية وينقادون للعاطفة الروحية وما عليه إلا أن يتظاهر:

1- بإعلان إسلامه !!
2- يلبس العمامة !!
3- بارتداء الزي المصري !!
4- بالمشاركة بالأعياد الدينية.
5- بالإيمان بالقضاء والقدر.
6- بأنه جاء لينقذهم من حكم المماليك الظالمين.

2- لامنس:

هنري لامنس مستشرق بلجيكي وراهب يسوعي شديد التعصب ضد الإسلام، يفتقر افتقاراً تاماً إلى النزاهة في البحث، والأمانة في نقل النصوص وفهمها، ويعد نموذجاً سيئاً جداً للباحثين في الإسلام من بين المستشرقين، خلف الأب لويس شيخو اليسوعي في إدارة مجلتي المشرق والبشير، درج على ما درج عليه " ليوني كاتياني " بالقول بأن كتب الحديث كلها موضوعة.

في كتاب لامنس عن فاطمة وبنات محمد كان يشير في الهوامش إلى مراجع غير موجودة مطلقاً ولا يعرف باحث من المستشرقين بلغ هذه المرتبة من التضليل وفساد النية وما كتبه في السيرة النبوية وفي الإسلام وفرقة فقد عبر عن كراهية للإسلام في غلّ منقطع النظير[1].

أما ما كتبه عن النصيريين فقد بذل جهداً مستميتاً ليخرجهم من الإسلام إلى النصارى، كتب ما أوحى إليه ضميره، وحقق به غرضه، وأدرك – على زعمه – مأربه، وبلغ به تجاهل الحقيقة، وتجاوز الواقع حداً ضاق به حتى زميله " رينه دوسّو " مع أنهما كلاهما يمتحان من قليب كدر واحد ويسعيان إلى هدف واحد ويرميان إلى غاية واحدة، ففي حين يجهد " لامنس " نفسه ويكد قلمه ليقول أن أصل النصيريين نصارى يأتي رينه دوسو بحكم معاكس، ورأي مخالف، ويعود بالنصيريين إلى أصول فينيقيه.

ونحن نرى أن هذين المستشرقين وإن اختلفا حكماً وقولاً فإنهما متفقان غاية ومقصداً، وغايتهما واضحة وفاضحة، وهي تزوير تاريخ فئات الإسلام شأن أكثر المستشرقين قبلهما وبعدهما.

ويأتي في المراحل الأخيرة وتحديداً بعد 1980م ثالثة الأثافي – كما يقال– أبو موسى الحريري أحد فرسان " الحقيقة الصعبة "

1- موسوعة المستشرقين لعبد الرحمن بدوي ص348.

فيستعرض أراء زميليه لامنس ودوسو ويفندها، وينتفض منها،ويزيد عليها، ومما جاء في كتابه عن النصيريين قوله:

" في كل ما كتب لامنس عن النصيريين لا نجد أية إشارة إلى أي مرجع من مراجعهم، لم يعرف الأب لامنس – كما يبدو – أي كتاب أو أي مخطوط لهم، وهو لم يستق معلوماته من كتبهم، بل من كتب وضعها باحثون، فكان مرجعه الأساسي سليمان الأذني النصيري المرتد، ومرجعه الثاني جولاته ورحلاته في بلادهم، وإن كثرة المعالم – الخرائب – المسيحية في بلادهم لا يعني أنّ أصلهم نصارى وقد يغفل الأب لامنس بعقليته الأوربية أمر التهجير !

والحريري هذا كمثل زميليه هدفاً، وإن اختلف معهما شكلاً، فليس اختلافهم إلا قصداً لتوسيع دائرة الاتهام. لذلك جاء كل منهم بآرائه ليترك للقارئ الخيرة في ما يلأخذ منها، وما يدع، ولكن القارئ– مع ذلك – لا يستطيع أن ينفلت من الدائرة التي رسموها.

ولكن نعجب ونستغرب كيف ينقل أبو موسى الحريري بعض أقوال زميله لامنس في بعض الفرق المسيحية ومنها:

" يرى لامنس أن اللغة التي يطلقها النصيريون على يوحنا مارون أول بطريرك على الموارنة 707م ليست هي من صنعهم لأن الروم الأرثوذكس– الملكانيين في سورية أطلقوها قبلهم منذ الجيل التاسع،

وكتبهم مليئة بها بسبب عصبيتهم ضد الموارنة أنصار المجمع الخلقيدوني المسكوني الرابع 451م الذي حرمت فيه عقيدة الطبيعة الواحدة، فالأب لامنس يبرئ النصيريين من هذه اللعنة لأن المؤسسات المارونية في جبل السماق حيث يوجد النصيريون، لم تكن كثيرة لتكون فاعلة، ولم تكن قديمة العهد، ففي الأمر صدى بعيد للجدال بين الموارنة والملكانيين سابق للجيل التاسع. هذا ما أورده أبو موسى الحريري في كتابه رقم/ 5 / من سلسلة الحقيقة الصعبة ص187.

ونقول: لو انصرف هذا " الأبو موسى " وهو اسم مستعار ورفاقه كتاب الحقيقة الصعبة لمعالجة شؤون قومهم، وأبناء عقيدتهم، وإصلاح خلافاتهم، والعمل غلى توقي لعناتهم كما هو الحال الذي يرويه هنا بين الموارنة والأرثوذكس الملكانيين، وغير ذلك من مئات وآلاف الخلافات التي فرقت المسيحية إلى طوائف وعقائد وفرق وملل ونحل وطقوس.

أليس ذلك أجدى وأنفع وأبر وأصلح من تكريس الوقت والجهد، والفكر والأقلام والكتب والصحف والمؤسسات لمحاربة تاريخ وثقافة وتراث الإسلام والمسلمين والتدخل بشؤونهم الخاصة.

الإسلام داعية للسلم، وداعية للإخاء، لا يرى تفرقة بين الرسالات **{لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ}**/البقرة285/. **{لا فضل لعربي على أعجمي إلا**

بـالتقوى}، النـاس سواسـية كأسـنان المشـط، وغيـر ذلـك مـن المبـادئ الإنسانية.

ألـيس ذلـك خيـر لـه ولأصـحابه مـن هـذه الحمـلات المسـعورة علـى الإسلام وفرق الإسلام وخاصة العلويين والدروز والإسماعيليين ؟؟.

3- لويس ماسينيون 1883 – 1962م:

مستشـرق فرنسـي، عـالم آثـار، والفرنسـيون- كمـا هـو معـروف- كـانوا أكثـر شـعوب أوروبـا إقبـالاً علـى الإنخـراط فـي الحمـلات الصـليبية، وأوفـر عـدداً، لمـا عـرف عـن الغـالبيين مـن الحمـاس الـديني، كـذلك كـانوا أكثـر استشراقاً وتبشيراً، والغاية واحدة وإن تمادى الزمن وتراخت السنون.

أتقـن هـذا المستشـرق التسـلل، ولعـب دوره ببراعـة وإجـادة، فـدرس – وهو العالم الأثري – اللغات الشرقية الحية في المدرسة الوطنية التـي أعدت لتخريج هذه الفئة، وتخرج منها أجيال متلاحقة من المستشرقين الفرنسيين والأجانـب، ولا تزال هذه المدرسة حتـى هذا اليوم فـي مكانـها رقم/4/ في شارع ليل بالحيّ السابع من باريس، تؤدي عملها بنشاط[1].

1- شخصيات قلقة في الإسلام لعبد الرحمن بدوي.

تسلل ماسينيون إلى الإسلام، ودرس في الجامع الأزهر، ولبس العمامة والجبة(انظر الصورة) إمعاناً في التضليل وستراً للمقاصد، وقد سبقه مواطنه نابليون إلى هذا، ولما يعلمه من أثر الدين في نفسية وحياة شعوب المنطقة.

كان ماسينيون على صلة وثقى بالأب " شارل دي فوكو " الراهب الذي عاش في صحراء الجزائر بين الطوارق، ووضع قاموساً في لهجة الطوارق، ولعب دوراً سياسياً غامضاً في الجزائر وتونس، وانتهى الأمر بمصرعه في تونس عام 1916م.

ركز ماسينيون أبحاثه على الحلاج الشخصية الصوفية القلقة كثيراً، واعتبره شهيداً، ويتساءل القراء، لماذا الحلاج ؟؟ والحلاج كما قلنا شخصية قلقة غريبة الأطوار والأفكار، وصل به إغراقه في التصوف إلى الشطح والاجتراء، وهل هناك أكبر جرماً، وأثقل وزراً، وأفدح إثماً، وأبلغ هوساً، من ادّعاء الألوهية، مهما جهد المدافعون تبرير وتفسير هذه الظاهرة.

لقد لقي الحلاج جزاء اجترائه مصيره الفاجع من القتل والصلب والتشهير والتمثيل.

المسلمون الأوّل لم يعرفوا التصوف كطريقة وتقنية ورموز، وإنما عرفوا الزهد، الزهد كما ورد في القرآن الكريم، وكما تمثّله وطبّقه عملياً الرسول(ε) وأصحابه ذوو النزعات الزاهدة.

دخل التصوف – كما هو بشكله عند الحلاج وأصحابه- على المسلمين عن طريق العناصر غير العربية، أو الشعوب التي دخلت الإسلام شكلاً، وأضمرت له العداء سراً، وانحرفت بالزهد حتى صار تصوفاً ذا تقنية وممارسات خاصة ومقامات وأحوال ومجاهدات وزيّاً خاصاً يتميز به أهله.

وما كان التصوّف بشكله هذا إلا تحدياً للشريعة الإسلامية، وتفسيراً منحرفاً لنصوصها، وفهماً مغايراً لمقاصدها.

فالشريعة نصّ واعتقاد وتكاليف معروفة.

أما التصوف فذوق وقلوب ومواجيد وطريقة وحقيقة.

المتصوفة لا يتقيدون بالنص، وربما لا يؤمنون به، بل يمضون بعيداً في الاستبطان ويستغرقون بالتأويل والترميز.

من هنا جاء اهتمام المستشرقين بالتصوف الإسلامي وأكثر المتصوفة إن لم نقل كلهم غير عرب.

لقد وجد المستشرقون في التصوف حجة ودليلاً ومنطلقاً، لجعل الإسلام قسمين: أصحاب المواجيد والذوق والرموز وأصحاب النص والشريعة.

وهذا ما جعل ماسينيون يرى في الحلاج شهيد عقيدة !!

يروي الدكتور هشام الشواف الأمين العام للمكتبة المركزية في بغداد عن القس العراقي وهان الموصلي، المقيم في باريس أن لويس ماسينيون كلفه بإقامة قداس خاص عن روح الحسين بن منصور الحلاج في البيعة التي يشرف عليها في باريس، ولكن القس ذكر لماسينيون أنّ الحلاج متصوف مسلم، والبيعة دار عبادة مسيحية.

ماسينيون تلميذ الأزهر أكبر جامعة دينية إسلامية واللابس عمامة المسلم يطلب إقامة قداس عن روح صوفي مسلم في بيت عبادة مسيحي، ولا يرى إقامة صلاة عن روحه في مسجد إسلامي ؟؟

وروى الدكتور الشواف نفسه أنه رأى ماسينيون واقفاً وقفة خشوع وتبتل في الجامع الكبير في باريس يقرأ الفاتحة على أرواح العمال الجزائريين الذين سقطوا برصاص الشرطة الفرنسية لقيامهم بتظاهرة احتجاج ضد الحرب في الجزائر !!

ونقول: كان الأجدى من صلاة ماسينيون إذاعة بيان، أو نشر مقال في الصحف يستنكر فيه هذا العمل الهمجي، لكنه لم يفعل، بل وقف يقرأ الفاتحة تضليلاً وإمعاناً في التدليس على المسلمين.

4- ريموند مارتيني:

لاهوتي ومبشر ومستشرق أسباني، اختاره رؤساءه " الدومنيكان " لدراسة اللغات الشرقية ليحسن التبشير، والرد على المسلمين، فذهب إلى تونس وأنشأ مدرسة لتعليم اللغة العربية للمبشرين خاصة.

ومن مؤلفاته " خنجر الإيمان في صدور المسلمين واليهود " وقد قصد به أن يضع بيد " الدومنيكان " سلاحاً للدفاع عن العقائد المسيحية.

وقد أتقن اللغة العربية لدرجة اعتقد معها أنه يستطيع معارضة القرآن، ونفذ هذه المحاولة فكتب على زعمه سورة بهذا الشأن نثبتها هنا كدليل على مدى اجتراء هذا المستشرق المبشر، واسخفافه بمقدسات المسلمين وليطلع القراء على مدى جهله، وعدم احترامه لنفسه، وعلى الشك بصحة عقله، والإيمان بسوء تصرفه، وخبث نيته، أو الظن أنه مصاب بالخبل !

بسم الله الغفور الرحيم

أعَارِضُ قرآن مَنْ آخِرُ اسْمِهِ الدَّالُ وأوَّلهُ المِيمُ، بِلِسَانٍ فَصيحٍ عَرَبِيّ مُبين، لا يَمْنعني مِنهُ سَيْفٌ ولا سِكّينٌ، إذْ قَالَ لِي بِلِسَانِ الاتِّهامِ سَيّدَ المُرْسَلينَ، قُل المُعْجِزَة لا شَريكَ فيها لربّ العالمينَ، وفي الفَصَاحَةِ يَشْتَرِكُ كَثِيرٌ كَثيرينَ، يَغْلِبُ فِيها أحياناً الطّالحُ الصَّالح والكافِرُ المؤمِنينَ، فَلَبِسَتِ الفَصَاحَةُ وَلَق في النِّهَايةِ أيةً ولا مُعْجِزَةً اللهمَّ إلا عنْدَ الذين أوطاهُمْ عَشْوَةً مُعَلّمٌ مَجْنونٌ حتى قالوا عَنْهُ خَاتِمُ الأنْبياء وسيّد المُرسَلينَ، مَعَ أنّه بإقرارهِ في سورةِ الأحقافِ لم يدر قط ما يفْعَلُ بهِ ولا بتُبّاعه أجمعين أكتعينَ، فَقُل يا مَنْ اسمُهُ رَمُتّه ولَقَبُهُ مرّتين، آه لِقَوْمٍ يقبلُ البَاطِلَ والخُرَافاتِ والتُّرّهاتِ كأنّها اليقينُ، وإن كُنتُم في شكٍّ ممَّا ألهَمَنا إليهِ عَبَدنا يا مَعاشرَ المسلمين، بِحَلِّ هذه الحُجّة وبمثل هذه السُّورة وادعوا لذلك إخوانَكُم منَ الجِنِّ إنْ كُنتم مهتدين، فإنْ لمْ تقدروا ولنْ تقدِروا فقَد زَهَقَ الباطلُ واستقامَ اليقينُ، والحمدُ والشّكْرُ لله آمينَ آمِينَ آمينَ *

زيادة من نسخة أخرى

فَإنْ لَمْ تقْدِروا وَلَنْ تَقْدِروا فاسْتَحبّوا وارْجعوا واقْتَدوا بِنُورِ القُرْآن البَاهِرِ ولا تَكُنْ كَصَاحِبِ السَّفينَةِ سَوَاءْ عَلَينا أَوَعَظْتَنا أمْ لَمْ تَكُن مِنَ

الوَاعِظينَ، والله الرَّحيمُ يَرْحَمُ عَبْدَاً أَلْجَمَ بِهّذهِ جَمَاعةَ الإِسْلامِ وتَبَارَكَ الله أَحْسَنُ المُلْهِمين، وَلْيَقُلْ أَهْلُ السّمواتِ والأرضِينَ آمينَ آمين آمين آمِين*

*****

الأسئلة

في هذه المقدمة الطويلة بعض الشيء، المختصرة بالنسبة للتاريخ وأحداثه، مهدنا السبيل، وأقمنا الحجة وأوضحنا الدليل على أنّ هذه الأسئلة- موضوع هذا الكتاب- ليست إلا حلقة في سلسلة طويلة من العداء لهذا الشرق وشعوبه من العرب والمسلمين بدأت هذه السلسلة في مدينة كلير مونت 1095م واستؤنفت بعد سقوط القسطنطينية عام

1453م ولم تزل مستمرة ومتلاحقة حتى اليوم عبر منشورات " الحقيقة الصعبة " وعلى أقلام فرسانها كأبي موسى الحريري وأنور ياسين ومصطفى جحا، وقلنا – أكثر من مرة – أن الأجدر بها الإطراح والإهمال ، ولكن هناك الخوف.. الخوف من أن تأخذ طريقها إلى التاريخ وتصبح في قابل الأيام تاريخاً كما يريدون لها، لولا ذلك لما تعرضنا لها، ولما أعرناها أي اهتمام.

إن تعرية أصحابها، وفضح المؤامرة التي تختبئ وراءها، والغاية التي يرمون إليها، وكشف الستار عن الدوائر والمؤسسات التي تمولها، وتغدق عليها نعمها، وتوحي لها، وتسهر عليها لهي فرض عين على كل مخلص لأمته ووطنه، وقيم هذا الوطن وهذه الأمة.

السؤال الأول

لا يفرق العامة وربما المختصون بين الميندانيين والصابئة، الأولون جماعة تعتمد الارتماس بالماء الجاري طقساً رئيسياً، والآخرون الذين تحدث عنهم القرآن جماعة ازدهرت يوماً، وبرز منها في القرن الثالث الهجري أشخاص هامّون في التاريخ الفكري للمنطقة لكنه " كذا " لم يعد لهم أثر حالياً.

سكن الصابئة حرّان المدينة المشهورة في التاريخ القديم " معجم البلدان " 535/2، عبدوا النجوم، وكانت لهم حكايات شهيرة مع أكثر من خليفة وفاتح.

ثمة نظرية تقول: إنّ أصل العلويين هو صابئة حران الذين تحولوا دفعة وحادة إلى الإسلام، وعلى ذلك أدلة:

1- دور النجوم والكواكب في الحياة اليومية للعلويين، من ذلك قول البعض: أنّ العلويين يقولون بتجسيد علي عليه السلام في الشمس، أو القمر.

2- علم النجوم المشهور شعبياً عند العلويين.

3- قرب حران التي تقع شمال الرقة السورية من مواطن الشيعة، وغلاة الشيعة، هل يمكن إعطاء لمحة تاريخية موجزة عن رأيكم في العلاقة الصابئة – العلوية ؟؟ والكتابات وخاصة الغربية منها في هذا الموضوع، ويفضل مراجعة " رينه دوسو " في هذا الموضوع !!

*****

الجواب

1- المندانيون:

أشار السائل إلى علاقة بين المندانيين والصابئة يعرفها العامة والخاصة ولكنه لم يحدد هذه العلاقة وإنما قال: إنّ المندانيين يتخذون من الارتماس في الماء (ارتمس: انغمس) طقساً دينياً، وأنّ الصابئة عبدة كواكب.

المندانيون هم أتباع يوحنا المعمدان، ويوحنا هذا كان يعمّد الناس بالارتماس في مياه نهر الأردن بما فيهم السيد المسيح وعلى هذا فالمندانيون أقرب إلى النصارى منهم إلى الصابئة، يُقال للصابئة " المغتسلة " كفئة تهتم بالطهارة[1].

وكثيرة هي الشعوب التي ترى في الماء اغتسالاً وارتماساً طقساً مقدساً، الهندوس مثلاً يرون في ارتماس رماد موتاهم في نهر الغانج طقساً دينياً مقدساً والإسلام يفرض الطهارة بالماء قبل القيام بتأدية الصلاة.

ونقول: إنّ السؤال لم يستوفِ حقه من التحديد والوضوح.

2- الصابئة ذكرهم القرآن الكريم مع الحنفاء واليهود والنصارى، وأوردَ الشهرستاني كثيراً من جدلهم ومحاجاتهم مع الحنفاء في كتابه الملل والنحل، وهم من عبدة الكواكب، ومن علمائهم في القرن الثالث

1- البابكية: حسين قاسم العزيز ص294.

الهجري ثابت بن قرة، والبتاني، وأبو إسحاق إبراهيم بن هلال صاحب كتاب التاجي.

الصابئة مذهبهم روحاني، يقابله الفطرة أو الجسماني لدى الحنفاء.

لم يذكر التاريخ- كل التاريخ – أية علاقة سواء دينية أو عرقية، أو مجاورة بين الصابئة وبين العلويين، والقرآن يورد ذكرهم مع اليهود والنصارى والمجوس.

1- **{إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَالَّذِينَ هَادُواْ وَالصَّابِؤُونَ وَالنَّصَارَى مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وعَمِلَ صَالِحاً فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ}**/المائدة69/.

2- **{إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَالَّذِينَ هَادُواْ وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحاً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ}**/البقرة62/.

3- **{إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ}**/الحج17/.

وحران بلدة مشهورة على طريق الموصل – الشام – الروم وعلى مسافة 280 ميلاً إلى الشمال الشرقي من دمشق (الميل: 4000) ذراع.

فتحت حران في عهد الخليفة الثاني عمر بن الخطاب، وينسب إليها جماعة من أهل العلم منهم أبو الحسن بن علي بن علان بن عبد الرحمن الحراني، وأبو عروبة الحسن بن محمد بن معشر الحراني وهناك حران حلب، وحران دمشق.

ولم ينقرض الصابئة كما يقول السائل، بل يوجد منهم اليوم جماعة في العراق ولكنهم لا يزيدون على 13000 نسمة موزعون في قرى صغيرة على نهر دجلة وفي الأهوار ويتكلمون العربية.

فإذا كانت حران وطناً للصابئة كما يقول السائل، فهل يعني هذا أنَّ العلويين صابئة ؟؟ وإذا كانت حران قريبة من الرقة، والرقة قريبة من الشيعة، أو غلاة الشيعة ؟؟! فهل يعني هذا أيضاً أن يكون العلويون صابئة ؟؟

غريب هذا المنطق، ومستهجن هذا الاستنتاج، ومضحك هذا الزعم المتعمد، المتقصد الذي أملاه الاستخفاف بقيم الأخلاق والحقيقة!!

ونسأل السائل بدورنا: أين هي النظرية التي يزعمها، والتي تقول: إنّ أصل العلويين هو صابئة حران وتحوّلوا دفعة واحدة إلى الإسلام.

ومن قال إن للطواكب دوراً في الحياة اليومية للعلويين ؟؟ وما هو هذا الدور ؟؟ **{قُلْ هَاتُواْ بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ}**/البقرة111، النمل64/.

ومن هم " البعض " الذين يقولون: إنّ العلويين يجسدون علياً في الشمس أو القمر ؟؟ وبما أنّ السائل يعتمد كما يزعم على " نظرية " ويستند في مزاعمه على " البعض " فإننا نطالبه إنصافاً له بتطبيق القاعدة الفقهية القائلة: /إن كنت ناقلاً فالصحة، أو مدعياً فالدليل /. وهذه القاعدة هي منهجنا في الحوار والنقاش والحجاج معه ومع سواء ولعلها – وكما يرى الواعون – خير منهج لمن تحرر من الغرض، وتنزه عن الهوى، وارتفع عن المكايدة والملاحاة والمداجاة، وكيل التهم جزافاً واعتماد الفرضيات، واختلاق التخرصات، وابتداع النظريات، والاندفاع وراء النزوات والنزغات.

إنّ على الناقل الإثبات والصحة وعلى المدعي الدليل والبرهان، وإذا تعذر عليه كلاهما، فماذا يقال عنه ؟؟ ماذا يظن به ؟ بماذا يحكم عليه ؟؟

العلويون أيها الباحث فئة من المسلمين، عربية العنصر قحطانية النسب، يمنية المنشأ لا تختلف في شيء من الاعتقاد عن بقية المسلمين، تظلهم شجرة الإسلام، وينهلون من ينابيعه، ويعملون بتعاليمه نهياً وأمراً، ويمارسون طقوسه، ويتقيدون بكل ما في الكتاب الكريم – القرآن – والسنة المطهرة.

هناك اجتهادات في السنة العملية، وهذه الاجتهادات موجودة لدى كل الفئات المسلمة، لا تقدم ولا تؤخر ولا تغير ولا تبدل في جوهر الاعتقاد وإنما هي اجتهادات أشخاص وكلها صحيحة.

قلنا إن العلويين- كل العلويون قحطانيو النسب يمنيو النشأة ولكن نستدرك ونستثني فئة منهم، هم المحارزة فهم عدنانيون ويلحقون نسباً بالبيت العلوي الهاشمي.

أما فرية تجسيد علي في الشمس أو في القمر فلا وجود لها إلا في مخيلة السائل الباحث إنها من اختلافات من يريدون بالأمة كيداً وصاحبنا يمتح من هذا البئر الآسن، ويستقي من هذا القليب الكدر، ويحتطب ليلاً في هذا الحبل الراث الرثيث، وينفخ في هذا البوق الصافر!!

أما التجسيد فهو في بعض المعتقدات الأخرى، وصاحبنا أدرى، وليس تجسيداً في الأنوار المجرّدة، بل هو تجسيد في المادة والجسد والموت والآلام، وقديماً قيل: رمتني بدائها وانسلّتْ.

ليس في فرق الإسلام من يقول بالتجسيد، فالله في الإسلام واحد أحد لا تدركه الأبصار، مجرّد غير مجسّد، ومفرد لا بتعدد، ليس كمثله شيء، وهو القادر الخالق كل شيء.

وافتراض قرب حران – موطن الصابئة على زعمه – من مواطن الشيعة الذين يصفهم بالغلاة بغياً وظلماً، فهل يعني قرب السكن والمجاورة قرباً في الاعتقاد ؟؟

وإذا أخذنا بهذا الافتراض، وارتضينا هذا المنطق يمكننا القول: إنّ اليهودية والوثنية تسربت إلى المسيحية بفعل السكن والجوار، سيما وأن المسيحية نشأت حقاً في بلاد اليهودية !!

ويمكن بناءً على هذا المنطق الذي لا نقره أن نفترض أنّ المسيحية – كل المسيحية – تعبد النجوم كالصابئة لأنّ هناك النجم الذي أرشد المجوس– حسب رواية إنجيل متى، والبداة– حسب رواية إنجيل لوقا – إلى الوليد الإلهي المدثر بالمزود في مغارة بيت لحم اليهودية، وتقدمهم كدليل حتى سجدوا أمام طفل المزود.

ولماذا يقال عن " البعض " وصاحبنا وشركته من هذا " البعض " أنهم يهود بدلالة أنّ السيد المسيح لذكره السلام ابن لأم يهودية ؟؟ وهو الناصري، والناصرة عاصمة يهوذا، وبدلالة قول السيد له المجد: بعثت لخراف إسرائيل الضالّة !! وهل الفصح إلا عيد يهودي وهو من أكبر وأقدس الأعياد في المسيحية ؟؟ وهل المظاهر " السبتية " إلا اليهودية في المسيحية ؟؟ ومع هذا – كلّ هذا – لا نجد عالماً أو باحثاً أو كاتباً أو مؤلفاً مسلماً حاول أو يحاول أن يقيم الحجة، ويعلن النكير، أو يثير

الشكوك أو يغمز من مقدسات الآخرين أو يسيء إلى معتقداتهم، لأنّ القرآن الكريم – دستور الإسلام العام – يدعو إلى وحدة الأمة، وحدة الإنسانية ويحظر المماراة والتنابذ بالألقاب والسخرية.

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَسْخَرْ قَومٌ مِّن قَوْمٍ عَسَى أَن يَكُونُوا خَيْراً مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاء مِّن نِّسَاء عَسَى أَن يَكُنَّ خَيْراً مِّنْهُنَّ وَلا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلا تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ بِئْسَ الاِسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ}/الحجرات11/.

{وَلاَ تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلاَمَ لَسْتَ مُؤْمِناً تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا}/النساء94/.

{إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَالَّذِينَ هَادُواْ وَالصَّابِؤُونَ وَالنَّصَارَى والمجوس مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وعَمِلَ صَالِحاً فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ}

أما ورود النجوم في حياة العلويين اليومية – كما يدعي فإننا نطالبه بإقامة أي دليل عليه إن استطاع– وليس بمستطيع – أن قوله هذا ليشبه قول من يقول: رأيت الباخرة راسية في أعالي الجبال ويضيف محالاً إلى المحال.

أما الكتابات الغربية التي يحيلنا إليها ليدعم أقواله، وخاصة ما كتبه المستشرق " رينه دوسو " الذي يفضل أن يرجع إلى أقواله فمن هو رينه دوسو ؟ وماذا كتب ؟

رينه دوسو 1868 – 1958م مستشرق فرنسي، عالم أثري، جاء إلى سورية تحت ستار التنقيب عن الآثار كغيره من المستشرقين الذين وفدوا للشرق بحجة من الحجج وما اكثر حججهم !! نقب أولاً في رأس شمرا– اللاذقية ثم في النمارة جبل حوران – الصفا– وهناك اكتشف أقدم كتابة بالخط العربي.

ومع شأن هذا الاكتشاف وخطره فإنه لم ينصرف كل الانصراف إلى اختصاصه كعالم أثري بل انصرف إلى كتابة التاريخ تاريخ الإسلام وفرقه لا تاريخ الأوابد والآثار.

لقد كتب عن النصيرية كتاباً مملوءاً بالأغلاط، مشحوناً بالافتراءات، جرى فيه كما أملاه عليه هواه، وقادته إليه غايته، ورسمه له سادته والدوائر التي أعدته وأهلته وأوفدته !!

وضع كتابه – متجاوزاً اختصاصه – ليحدث شرخاً كما يتوقع ويتقصد بين فئات المسلمين كما فعل من تقدمه ومن جاء بعده من هؤلاء الموفدين[1].

1– راجع ص من هذا الكتاب.

*****

السؤال الثاني

عانة بلدة صغيرة تقع غرب العراق، قرب الحدود السورية، نعرف أنّ أصل المنتجب العاني منها، وقد مرّ فيها العديد من علماء العلويين وأئمة المذهب.

عانة تسكنها جماعة تدعى " العلي اللاهية " وهم طائفة تؤله علي/ع/ وتعتبره مظهراً من مظاهر الألوهية (ماسينيون مقالة هامة " علي إلهي ")

عانة أيضاً هي البلد التي (كذا) مر فيها علي بن أبي طالب/ع/ في طريقه لحرب معاوية بن أبي سفيان وهنا يكمن التساؤل عن عمق تشيع أهلها لعلي/ع/.

عانة أيضاً غير بعيدة عن جبل سنجار موطن المكزون السنجاري، والكثير من الطوائف الغالية، والفرق الهاربة من المدّ الإسلامي

كالزرادشـتين والمـانويين، ولا يـزال عبـدة إبلـيس اليزيـديين يسـكنون تلـك المنطقة حتى الآن.

ما هو دور عانة في تخريج أئمة للمذهب العلوي ؟؟

ما هي العلاقة بين علويين وعلي اللاهية ؟؟

الجواب

يلاحظ القارئ أنّ السائل كرّر لفظة عانة أربع مرات مفتتحاً بها أربع فقرات: **الأولى**: ليقول أن أصل المنتجب العاني منها وأنّ عديداً من فقهاء العلويين وأئمة المذهب مرّ فيها.

الثانية: ليؤكد أنّ العلي اللاهية، والطوائف الغالية والفرق الأخرى قريباً منها.

الثالثة: ليدلّ على عمق تشيعها لعلي لأنّ علياً مرّ فيها.

الرابعة: ليربطها بسنجار موطن المكزون وباليزيديين والمانويين والزرادشتيين، الغاية من كل ذلك واضحة كل الوضوح ولم تخف على شبه البصر فكيف بالبصير السميع العليم!! وهي أنّ عانة – على ما هي من الطوائف والمذاهب والفرق – خرجت أئمة للمذهب العلوي.

لا أدري على ماذا أغبط السائل الباحث هذا!!

أعلى هذا التمحل ؟؟ أم على قدرته على حشد المبررات، ومحاولته إيجاد المنطلقات لمقاصده! أم على تعمّقه في فهم التاريخ، وضبط مساره، وتحديد أحداثه وحوادثه ؟! أم على أخطائه اللغوية فيما كتب ؟؟

1- عانة بليدة بين هيت والرقة، يطوف بها خليج من الفرات.

2- لم نعلم ولم يذكر التاريخ أنّ أحداً من فقهاء العلويين المسلمين، أو فقهاء المذهب العلوي على تعبير صاحبنا الصحفي الباحث تخرج منها، حتى أنّ المنتجب الذي يقال في نسبته " العاني " لم يولد فيها، بل جاءها مهاجراً بدليل قوله في إحدى قصائده:

نحن الذين صفونا من قذى كدر   والشام هجرتنا إذ دارنا حلبُ

على أنه – أي المنتجب– إن كان سكن عانة فإن هجرته من الشام إلى حلب، وأن تلامذته ومريديه وسلطته الروحية كانت في حلب، لأنّ كل ممدوحيه حلبيون كبني فضل وبيت العفيف وبيت الجمال وهذان يمتان بصلة النسب إلى البيت الهاشمي كما يشير قوله:

كمثل العفيف وبيت الجمال   فهم للنبي ولله آل

ويقول في ممدوحه جمال الدين بن محمود الحلبي:

إني حلبت الناس أبغي أخاً   فصحّ لي من حلب الحلبُ

ويقول: شآمي ومنبته في حلب

ومن ممدوحيه أيضاً علي بن بدران المهاجري الحلبي، وكلّ هؤلاء ليسوا من عانة، فمن هم أئمة المذهب العلوي- كما يطيب له أن يقول- الذين تخرجوا من عانة ؟؟

والعلي اللاهية أو هكذا يسمونهم – ويكرس هذه التسمية ماسينيون – فئة من المتصوفة يوجد منهم كثيرون في شرق تركيا وجنوبها، وليسوا غلاة كما يتهمونهم، ويتهمون غيرهم، ولا يعبدون علياً/ع/ كما يطيب للبعض أن يشيع عنهم، أو يشنع عليهم، وإنما يسلكون في تصوفهم طريقة خاصة يقولون: إنّ علياً/ع/ كان يمارسها في تعبده لله، وبهذا يكونون مثل غيرهم من أصحاب الطرق الصوفية المتعددة في الإسلام كالنقشبندية والشاذلية والمولوية والجيلانية حيث يقول أصحاب هذه الطرق أنها مأخوذة عن كبار الصحابة، ويوجد مثل هذه الممارسات المختلفة في تأدية الشعائر الدينية في المسيحية كما هو الحال بين الملكانية والنسطورية واليعقوبية وما تفرع عنهما.

وليس للعلويين أية علاقة بالعلي اللاهية.

هذا، وإذا كانت عانة قريبة من سنجار، وإذا كان علياً/ع/ مرّ بها في طريقة لمحاربة معاوية بن أبي سفيان، وإذا سكنها بعض الهاربين من المدّ الإسلامي- كما يزعم صاحبنا – وإذا وجد بها من يدعوهم – افتراءً واجتراءً – بالعلي اللاهية، وإذا أقام بها عبدة إبليس من اليزيديين،

فهل يعني هذا – كما يرى الصحفي الباحث– أنّ العلويين تأثروا بكلّ هذه الفئات، أو بعضها، أو بعقائدها ؟؟

هذا ما يريد أن يوحي به، أو يصرح، أو يجزم بواقعيته، صاحبنا " النزيه " كبرت كلمة تخرج من أفواههم..

وإذا كان مرور علي على عانة– مجرد مروره – عمّق التشيّع في نفوس أهلها، فلماذا لم تتعمق دعوة السيد المسيح لذكره السلام في نفوس أبناء السامرة ويهوذا، وقد مرّ فيهما وأقام طويلاً.

وعلي لم يعد من صفين منتصراً ليميل أهل عانة إليه، وينضووا تحت لوائه، ويصبحوا من شيعته، ويتعمق هذا التشيع في نفوسهم كما هي حال الشعوبمع الغالب عبر التاريخ !!

والزرادشتيون والمانويون أتباع ذرادشت وماني الفارسيين كيف يهربون من بلاد فارس خوفاً من المدّ الإسلامي ويلجأون إلى عانة وسنجار وقد استقر فيهما المدّ الإسلامي لأن عانة فتحت مع بلاد الشام وقبل فتح العراق وغزو فارس.

أما عبدة إبليس أو الشيطان كما هو مشهور على أقلام المؤرخين، والذين أقاموا بجبل سنجار فقد نشأوا كفرقة مغالية في يزيد بن معاوية، وعلى يدي عدي بن مسافر (شرف الدين أبو الفضائل ت557هـ

1162م) وقد ولد عدي بن مسافر في بيت قار– بعلبك– وانتقل إلى الموصل ونشر طريقته، وغالى فيه أتباعه اليزيديون.

ولأن عانة قريبة من سنجار يجب أن يكون العلويون تأثروا بعقائد من سكنوها ولم يشر التاريخ– كل التاريخ – أنّ العلويين استوطنوا فيها.

والغريب في طبيعة صاحبنا وسلوكه، وتحقيقه وتمحيصه أنه يزعم ويؤكد على هذا الزعم، أن العلويين مغالون في علي بن أبي طالب فكيف يجمع بينهم وبين المغالين في يزيد بن معاوية قاتل إمامهم وابن إمامهم وابن بنت نبيهم الحسين بن علي وسابي نسائه ؟؟

إنه الغرض، إنها الغاية، والغاية– كما قيل تعمي وتصمّ.

وسؤال اقتضته طبيعة هذا البحث موجّه إلى صاحبنا السائل ومن ورائه: ماذا استقر عليه رأيه بل رأيهم ؟؟ هل العلويون صابئة ؟ علي اللاهية ؟ إيرانيون ؟ زرادشتيون، مانويون، يزيديون ؟ أم عرب مسلمون ؟

أما ماسينيون صاحب المقالة " الهامة " (راجع نص السؤال2) ودوسو الذي يفضل أن نرجع إلى أقواله (راجع نص السؤال رقم1) فإننا نرى أنّ هذين المؤرخين قد جمعا بين فضيلة الاستشراق والتبشير، ولا نقيم لأقوالهما وزناً لأنهما أبعد مستشرقين – بعد لامنس– عن قول

الحقيقة، والحيلة فيهما قليلة كما يقول الشاعر لأنهما يخلقان ويختلفان ما يقولان، ولنا عودة إليهما.

السؤال الثالث

وادي لالش قرب الموصل، جبل سنجار قرب الحدود العراقية الوسطى والشرقية كلها مناطق معزولة كانت موئلاً للهاربين من المد الإسلامي، وما زالت موطناً لجماعات من عقائد مختلفة كالشبك واليزيديين.

تقول فرصية: إن سنجار موطن العلويين الأول المطاردين من الظلم العباسي، ويُقال: إنه عندما اشتد الظلم ووصل إلى سنجار هرب بعض العلويين إلى جبال اللاذقية، ولو لم يكن بين علويي سنجار وعلويي جبال اللاذقية روابط قوية ما استنجد الشيخ محمد البانياسي والشيخ علي الخياط (كما يقول غالب الطويل: بالأمير المكزون في سنجار التي تبعد عنهم مئات الأميال في وقت تبدو فيه وسائل النقل بدائية) ولو لم يشعر الأمير المكزون بأنّ علويي اللاذقية أقارب وأبناء عمومة لما جاء وبرفقته/20 أو 25 / ألفاً وسكن مناطق غرب سورية إضافة إلى اللهجة والفروق الواضحة في اللهجة بين العلوي وغير

العلوي السني، فالعلوي كالعراقي يلفظ القاف معطشة في حين أن سني اللاذقية وبانياس وطرطوس (كذا) ذلك.

ما هي العلاقة بين العلويين والسنجاريين ؟؟ وما رأيكم فيها ؟؟

الجواب

1- الاعتراف بإيجاد علاقة بين العلويين والسنجاريين بدلالة أن المكزون جاء لنجدتهم في جبال اللاذقية من سنجار، يثبت فرضية السائل أن موطن العلويين الأول هو سنجار.

2- إذا ثبت ذلك أمكنه الربط بين أصحاب العقائد المختلفة التي أشار إليها في سؤاله وبين العلويين وهذا هو الغرض !! والغرض المتقصد مرض !!

ولكن!! وليسمح لنا القراء بهذا الاستطراد الذي اقتضاه سؤال صاحبنا!!

في التاريخ- والتاريخ سجل حركة الإنسان - إن المهندس المعماري " سنمار " بنى للنعمان بن المنذر بن ماء السماء اللخمي قصرين هما: الخورنق والسدير وبلغا غاية الروعة والجمال في العمران، ولكن المهندس - على ذمة التاريخ - وضع في أحد القصرين، أو في كليهما " آجرة " إذا انتزعت من مكانها أنهار القصر بكامله !!

ولما علم النعمان بذلك ألقى بالمهندس – الذي بيّت الشر والضر – من أعلى القصر فدقّ عنقه، ولقي جزاء عمله.

ونقول: إنّ في بناء صاحبنا الصحفي الباحث الفكري والتاريخي " آجرّة " خطيرة إذا نزعناها– وسننزعها– ينهار كل ما بناه وتوخاه من سؤاله هذا !! لكن ذلك– وكما قلنا: يقتضينا استطراداً قد يطول بعض الشيء. ولكنه موثق بالأرقام والزمان والأشخاص وأحداث وإلى القراء ما يلي:

الأمير المكزون لم يكن من سنجار الموصل كما يزعم صاحبنا ويبني على هذا الزعم " فرضيته " وكما يزعم بعض المؤرخين، بل من سنجار سورية التي تقع في قضاء المعرة – معرة النعمان– وعلى بعد33كم شرقاً بميلة إلى الجنوب عن المعرة.

وإذا استنطقنا التاريخ نجد:

1– أنّ المكزون ولد عام 583هـ وتوفي عام 638هـ على أصح وأصدق الروايات فيكون قد عاش 58سنة.

وإلى القراء تواتراً تاريخياً لبلدة سنجار الموصل محدداً بالأرقام والسنين والأشخاص والأحداث ويمكن مراجعة هذا البحث مطولاً في كتابي المكزون السنجاري الجزء الأول/ ص69–74/.

هذا العرض التاريخي الموثق يدحض كل افتراض لصاحبنا بأنّ الأمير المكزون جاء لجبال اللاذقية من جبال سنجار الموصل حيث يقيم الشبك واليزيديون والهاربون من المد العباسي !!

وبالتالي تسقط " الآجرة " التي وضعها في بنيان قصره قصد تدميره على من فيه !!

1- يذكر أبو الفداء في حوادث 594هـ: إنّ أمارة سنجار صارت إلى الأمير محمد بن مودود بن عماد الدين زنك، ثم انتقلت إلى ابنه، ثم إلى أخيه، ثم إلى الملك الأشرف بن الملك العادل إلى ما بعد 621هـ.

2- في حوادث 600هـ يقول: وفيها خطب قطب الدين محمد بن عماد الدين زنكي بن مودود صاحب سنجار للملك العادل[1].

3- وفي حوادث 606هـ لابن العديم يقول: وخرج الملك الظاهر من دمشق.. إلى أن يقول: ونزل على سنجار محاصراً وشفع عنده مظفر الدين في صاحب سنجار، فلم يقبل، وقام نور الدين صاحب الموصل بنصرة عمه صاحب سنجار.. إلى أن يقول: كان الظاهر يتظاهر بطاعة عمه وفي الباطن يريد الاحتفاظ بسنجار.

ويقول: ثمّ توسّط الحال، وشفع فيهم الملك الظاهر، وأطلق لهم سنجار، واستنزلهم عن الخابور ونصيبين[1].

1- أبو الفداء ص110.

4- وجاء في الكامل لابن الأثير في حوادث 616هـ وهي السنة التي سبقت مجيء المكزون لجبال اللاذقية.

في هذه السنة توفي قطب الدين محمد بن زنكي، بن مودود بن زنكي، صاحب سنجار، وكان كريماً، حسن السيرة في رعيته، وحكم بعده ابنه شاهنشاه، وركب معه الناس وظلّ مالكاً لسنجار عدة شهور ثم سار إلى " تلعفر " فدخل عليه أخوه عمر بن زنكي ومعه جماعة فقتلوه، وملك أخوه عمر بعده، فبقي إلى أن سلم سنجار إلى الملك الأشرف، ولما سلم سنجار أخذ الرقة عوضاً عنها[2].

5- ويقول أبو الفداء في حوادث 616هـ توفي قطب الدين بن محمد صاحب سنجار بعد أن ملك عليها 23عاماً وملك عليها بعده ابنه شاهنشاه، ثم قتله أخوه محمود وملك سنجار وهو آخر من ملك سنجار من البيت الأتابك[3].

6- ويقول ابن العديم في حوادث 617هـ: خاف ابن المشطوب صاحب رأس العين فسار إلى سنجار فطرده والي نصيبين من قبل الملك الأشرف، وقاتله واستباح عسكره، وسار إلى سنجار فأجاره، وأرسل الملك الأشرف في طلبه فلم يجبه، فسار نحوه فترك سنجار إلى تلعفر.

1- زبدة الحلب ج3 ص160-161.

2- ابن الأثير ص238.

3- تاريخ أبي الفداء ج3 ص138.

ووصل الملك الأشرف إلى سنجار وفتحها، وعوض صاحبها الرقة.

واستجار ابن المشطوب بلؤلؤ فأجاره على حكم الملك الأشرف، وسلمه إليه فحبسه في سنجار[1]. وفي ص190 يقول: انفصل الملك الأشرف عن الموصل وشتى بسنجار.

وورد عند أبي الفداء في حوادث 617هـ أن محمود بن قطب الدين سأل الملك الأشرف أن يعطيه الرقة ويسلم سنجار إلى الأشرف فتسلمها.

وفي حوادث 621هـ يقول ابن العديم:

طلب الملك الأشرف طائفة من عساكر حلب ليقيم بسنجار خوفاً من صاحب أربل. وورد في مختصر تاريخ الدول[2]. ووفيات الأعيان[3]وفي حوادث 636 هـ ما يلي: أنّ الملك الصالح أيوب صاحب سنجار راسل الملك الجواد وطلب منه دمشق على أن يعوضه عنها سنجار، فسلمها إليه وانتقل إلى سنجار.

وفي حوادث 635هـ يقول ابن العديم:

أقطع الملك الناصر الملك المنصور ماردين ونصيبين وسنجار، وخاف الملك الجواد من الملك العادل فراسل الملك الصالح أيوب على

1- زبدة الحلب ص189.

2- مختصر تاريخ الدول ص452.

3- وفيات الأعيان ج2 ص162-163 وفوات الوفيات ج2 ص327.

أن يسلمه دمشق ويعوضه عنها سنجار وعانة[1]. وجاء مثل هذا لأبي الفداء 1/ 171 وجاء في السلوك 239/1 ما يلي:

برز الملك العادل من القاهرة يريد دمشق، فخاف الجواد منه، فطلب من الملك الصالح نجم الدين أن يتسلم منه دمشق ويعوضه عنها سنجار والرقة وعانة.

وفي حوادث 637هـ: سار الملك الجواد إلى الرقة فأخرجته منها الخوارزمية فعاد إلى سنجار.

وفي الحوادث الجامعة للعام 637هـ: وصل الملك الجواد صاحب سنجار إلى بغداد وخرج إلى لقائه موكب الديوان، ثمّ أنّ بدر الدين لؤلؤاً صاحب الموصل استولى على سنجار.

وفي حوادث 638هـ يقول أبو الفداء: أن الملك الجواد صاحب سنجار باع عانة من الخليفة المستنصر بمال تسلمه فسار صاحب الموصل وحاصر سنجار.

وورد في حوادث 640هـ: أنّ الخوارزمية قصدوا مدينة حلب فخرج إليهم الأمير لؤلؤ الحلبي بمساعدة محمد بن أسد شيركوه صاحب حمص والملك الصالح إسماعيل صاحب سنجار.

1- زبدة الحلب ص 89.

هذا تاريخ بلدة سنجار من سنة 594 – 640هـ والمكزون ولد سنة 585هـ وتوفي سنة 638هـ وبهذا التحقيق الدقيق يسقط ادعاء وبناء صاحبنا بأنَّ المكزون جاء لنجدة أقاربه من سنجار إلى جبال للاذقية، أو أنه أقام بها.

أما اختلاف اللهجة الذي يريد أن يتخذ منه وسيلة لربط العلويين بالعراقيين أو بالسنجاريين القريبين من العراق فمحاولة لا ترتكز على أساس من الصحة والمنطق العلمي.

إن التلفظ بالقاف المعطشة في جبال الساحل السوري يرجع إلى الأصالة العربية لغة وأصالة وابتعاداً عن الهجنة.

وأما أن سكان اللاذقية وبانياس وطرطوس يلفظون القاف همزة فمرد ذلك للوجود الصليبي على امتداد هذا الساحل ولمدة 200 عام هذا الوجود نقل هذه اللكنة إلى مجاوريه ولم تتسرب إلى هذه الجبال التي بقيت محافظة على أصالتها العربية وامتنعت على الصليبيين.

إنّ العلويين في جبال الساحل السوري يرون التلفظ بالألف مهموزة عاراً وانحرافاً وإمالة عن الأصل العربي، وربما سخروا ممن يفعل ذلك.

وهناك التاء الساكنة في أواخر الكلمات المنتهية بتاء مربوطة ويسمونها التاء النصرانية، فإنهم يهزأون بمن يتلفظ بها.

إنّ هـذه الآثـار هـي مـن بقايـا آثـار الاسـتعمار القـديم، ويـأبى الاستعمار الحديث وأعوانه إلا استثمارها واتخاذها وسيلة للتدليل على الفارق بين أبناء الأمة الواحدة، لقد زرع الاستعمار قديماً، ويحاول أن يحصد حديثاً و.. في كل واد أثر من ثعلبة !!

أما اعتماد كتاب تاريخ العلويين لمحمد غالب الطويل كمصدر تاريخي، فهو اعتماد على الخطأ، لأن الرجل كتب ما كتبه بإيعاز من السلطة الفرنسية عندما احتل الفرنسيون البلاد ليستأنفوا متابعة ما بدأه أسلافهم الصليبيون.. ومن منا لا يذكر تلك الحملة التي نفوه بها ذلك الفرنسي الغازي المحتل الجنرال غورو تلك الجملة التي نطق بها بغطرسة واعتداد وحقد وتشف وروح تاريخي بغيض على قبل البطل الإسلامي صلاح الدين بطل حطين: " يا صلاح الدين ها قد عدنا " !!

هذه الجملة التي تنطوي على حقد الأجيال، وتعيد الاعتبار لتلك الجملة التي قالها آخر طاغية صليبي بعد معركة اليرموك: وداعاً يا سورية، وداعاً لا عودة بعده !!

أراد محمد أمين غالب لكتابه أن يكون منطلق فتنة، ومدعاة تفرقة بين أبناء الأمة الواحدة والوطن الواحد، تنفيذاً لسياسة " فرق تسد " التي يراها المستعمرون من أنجح وسائلهم، كما حاول الطويل هذا أن يوجد

أسباباً للخلاف بين العلويين أنفسهم بتقسيمهم إلى عشائر وكتل مغلقة لا تتواشج فيما بينها.

ومن قرأ استدراكات العالم الفقيه المرحوم الحاج عبد الرحمن الخيّر وملاحظاته على هذا الكتاب، وبيان أخطائه وتناقضاته، يدرك خلفية هذا الكتاب.

السؤال الرابع

دون أن أتـردد لحظـة واحـدة فـي الشـك بـدوافع الناشـرين غيـر الموضوعية، صدرت في بيروت سلسلة كتب عن العلويين النصيريين منها مثلاً الباكورة السليمانية للشيخ سليمان الأذني، وهو كما قيل علوي مرتدّ نشر عقائد العلويين وأعيادهم وطقوسهم.. ومنها رسالة درزية في الرد على النصيرية.

ما هو رأيكم في ما ينشر حالياً حول العلويين في بعض مناطق بيروت، ومن هو سليمان الأذني هذا ؟؟

الجواب

كنت أود الاكتفاء بقول الصحفي الباحث: لم أتردد ثانية في الشك بدوافع الناشرين غير الموضوعية.

نعم كنت أود الاكتفاء بقوله هذا لو لم أكن أعلم يقيناً أنها كلمة حق يراد بها باطل، كلمة يراد بها استدراج الثقة بحسن النية وسلامة الطوية وإظهار التمسك بالحياد والإخلاص في البحث وتوثيق التاريخ.

ونقول له: لماذا لا ينسحب هذا الشك على كلّ ما يكتب وينشر في هذه الأيام، أو على الكثير منه لمجافاته الحقيقة.

إنّ صاحبنا وإن أورد هذه الفقرة الإيجابية فإن كلّ أسئلته حافلة بالسلبيات والخلفيات الهادفة المتقصدة.

لماذا يشك بدوافع الناشرين، ويجانب تطبيق هذا الحكم على المؤلفين ؟؟

لماذا لم يتسرّب شكه هذا إلى " رينه دوسو "، وماسينيون، وأبي موسى الحريري، وأنور ياسين، ومصطفى جحا، والشركة المساهمة من المستشرقين والمبشرين الجدد، ورثة المستشرقين القدامى، وحملة رسالتهم، والعاملين في حقلهم والسالكين سبيلهم.

لو فعل هذا شيئاً من هذا لأصبح شكّه يقيناً، غير أنه فعل العكس تماماً، فقد حاول أن يوجه أنظارنا إلى مقالة هامة لماسينيون صاحب العمامة والجبة، ويثير اهتمامنا بما كتبه رينه دوسو ويفضل الوقوف عند هذه الآراء.

وخلاصة القول: إن كلّ ما نشر وينشر وسينشر في بيروت" مقر المستشرقين والمبشرين " في النصف الثاني من هذا القرن وقبله، حول العلويين لا يعتدّ به من وجهة نظر العلم، وشرف البحث وجدية القول والتزام الموضوعية.

كلّ ما نشر ينطلق من نزعات سياسية ومذهبية وعنصرية.

كتب عبد الرحمن بدوي مذاهب الإسلاميين الجزء الثاني.

وكتب أبو موسى الحريري " قس ونبي " – أعربي هو – نبي الرحمة، العلويون النصيريون.

وكتب أنور ياسين في سلسلة الأديان السرية.

ووجه صاحبنا أسئلته.

ويكتب فرسان الحقيقة الصعبة وسيكتبون في ذات الموضوع.

وكل هذه الكتب حملت فكرة واحدة، والتقت عند غاية واحدة، وهي تفريق كلمة المسلمين وإيجاد الشقاق بينهم، وأحداث الوقيعة بهم، بما

تبثه من دعاية وتقوم به من سعاية وتفتعله من نكاية، وتهدف إليه من غرض وغاية.

تزامنت هذه الحملة المسعورة مع التحرك السياسي المحموم فكتب عبد الرحمن البدوي بعد زيارة السادات للقدس وتوقيع اتفاقية كامب ديفيد وموقف سورية ضد هذه الاتفاقية المشؤومة.

ولم يكتب أبو موسى الحريري سلسلة كتبه إلا بعد حرب الفتنة في لبنان وتدخل سورية ومحاولتها كسر حدتها، رحمة بلبنان العربي الشقيق، ومثله مصطفى جحا.

ولم يكتب عبد الحسين مهدي العسكري، والحسيني عبد الله إلا بعد قيام الحرب الإيرانية– العراقية واستنكار سورية الشديد لها.

*****

أما ما أشار إليه السائل بشأن الرسالة الدرزية، فالمقصود به الرسالة الدامغة التي ألفها االداعية حمزة بن علي في الرد على " النصيري ".

من هو هذا النصيري الذي يحلل المحرمات، ويبيح المحظورات، كما تقول الرسالة ؟؟ وأين هو كتابه " الحقائق وكشف المحجوب " ؟؟

لم نقف على هذا الكتاب، ولدينا ثبت بالمخطوطات العربية، وآخر بالمخطوطات الغربية في البلاد الأجنبية – طشقند – بلغاريا – ليدن – السكوريال – وكلها على غناها بالمخطوطات لم تحوي هذا الكتاب.

وفي هذه الفترة انشق الخارج " نشتكين " على حمزة بن علي واقتتل أنصارهما ودحر نشتكين فهرب إلى البلاد الشامية وأجاز لأصحابه ما لم تجزه عقيدة الموحدين.

وليس ببعيد أن يكون كتاب " الحقائق وكشف المحجوب " من وضع أنصاره ومن تعاليمه، ودس على لسان" النصيري " إمعاناً في الكيد وقطعاً للعلائق التي تربط بين النصيريين كشيعة لآل البيت وبين الحكم الفاطمي في مصر.

يقول أنور ياسين صاحب سلسلة " الأديان السرية " وهو اسم مستعار: إنّ هذا الكتاب لا وجود له حتى الآن لا عند الدروز ولا عند النصيريين، وأنور ياسين هو المهتم والمعني بكل ما يتعلق بعقيدة الموحدين من الوجهة السلبية لا الإيجابية.

هذا الكتاب لو افترضنا وجوده فإنه لا يخرج عن كونه محاولة خبيثة لإبقاء الفتنة بين فئتين عربيتين باسم الدين قامت بها فئة ثالثة يعنيها الأمر. وهذا" النصيري " اسم مختلق لا وجود له مطلقاً، والمسألة

لا تخرج في هدفها – على بعد العهد بها – عما يحاوله بعض مرضى القلوب والنفوس في هذه الأيام[1].

في القرن الرابع الهجري – زمن الداعية حمزة بن علي – بالغت السلطة الحاكمة بالتشديد والملاحقة للعناصر " المعارضة " وغالت في التنكيل بأنصارهم، حتى اضطر المعارضون إلى المغالاة في التخفي والتستر والتقية، فأصبح في قادة هذه الأحزاب أئمة " ستر " وأئمة " كشف" بفعل الملاحقة السياسية.

في هذه الفترة نشطت الدعايات والمؤامرات والمكائد والتشنيع والتبديع ونفث السموم، وكتاب " الحقائق وكشف المحجوب " يندرج في هذه السلسلة.

لقد تجنى التاريخ على الأحزاب المعارضة ومنها الموحدون وألصق بهم كما ألصق بغيرهم ما هم منه براء. وهم من أعرق العناصر العربية

1- في كتابي المكزون السنجاري الجزء الثاني ص232 تعرضت لهذا الموضوع ولكن باختصار وأشرت إلى الدوافع وإلى الجهة الثالثة التي يعنيها أمر الخلاف. ثم اقتبس الكاتب السيد عبد الله يوسف زين الدين هذا البحث في رده على مزاعم وافتراءات الكاتب المصري أنيس منصور التي نشرتها جريدة الأهرام بتاريخ 4/ 10 / 1989م حول الدروز.

وهذه المزاعم والافتراءات شبيهة من حيث غرضها وغاياتها ودوافعها بتلك المزاعم والافتراءات التي نشرتها جريدة الأهرام بتاريخ 28 / 9 / 1991م عن العلويين والمنسوبة إلى الدكتور محمد سيد طنطاوي مفتي الديار المصرية، والتي أحدثت استياءً عاماً مما اضطر الدكتور طنطاوي إلى نفيها وبراءته منها.

– القيسية – واليمنية، ومذهبهم توحيدي قائم على العقل والفلسفة، ورفض كل شرك، ولكن هنالك التأويل وهو بحاجة إلى التوضيح بالنسبة للعامة، وإن كثيراً من الرموز في اجتهاداتهم أسيء فهمها ولا يستطيع فهمها وتوضيحها إلا المختصون، والذي ألجأهم إلى استعمالها هو ما نزل بهم من الظلم والاضطهاد والملاحقة، وخاصة في أيام صالح بن مرداس الكندي حاكم الشام.

وللموحدين الدروز وفي قانون الأحوال الشخصية تشريع واجتهادات متميزة في الزواج مستوحاة من روح آيات القرآن الكريم.

ومن مآثرهم – على تعددها – تلك المأثرة التاريخية القومية – الوطنية الإسلامية وهي مشاركتهم الفعالة في معركة عين جالوت المشهورة بقيادة أميرهم " زين الدين " تلك المعركة التي كانت لها النتائج الكبرى في تاريخ العرب والمسلمين.

لقد حاربوا مع صلاح الدين ضد الصليبيين ومع بيبرس ضد التتار كما يردد التاريخ أصداء معاركهم ضد الفرنسيين في العصر الحديث.

سليمان الأدني:

أما سليمان الأدني، أو الأدناوي، نسبة إلى أدنة – آطنه – فقد وُلد علوياً، ثمّ تنصّر، ثمّ تهود.

ولد في أنطاكية عام 1250م ثم رحل إلى آطنه، وسكن في أحد أحيائها " خورمالي " ومال إلى السكر والملاذ، وأظهر استهتاراً بالدين، واستخفافاً بالقيم الأخلاقية، واعوجاجاً في السلوك، فطرده رجال الدين من مجالسهم، ومنعوه من حضور الصلاة في المساجد، ومشاهدة الأذكار، فهرب من آطنه وانقلب من علوي إلى يهودي، ثم اعتنق أحد المذاهب الإسلامية[1]. ثمّ خرج من الإسلام نهائياً، وتنصر، واعتنق المذهب البروتستانتي على يد أحد المبشرين بهذا المذهب، ولما كان تنقله بين الأديان لغاية مادية يحقق فيها رغباته الجسدية، ولما لم يحصل على كلّ ما يريد كداعية بروتستانتي فقد قفز إلى المذهب الكاثوليكي والتحق بإحدى مؤسساته في بيروت، ولبس مسوحهم، وهنا طلب إليه أن يكتب عن النصيرية أهله وقومه الذين طردوه وشردوه وحرموه وأذلّوه، فشرع يغرف من حقده، ويصعّد من غضبه، ويلصق بقومه كل فرية، ويختلق كل تهمة، ويفتعل كل وصمة، وكانت المؤسسات التبشيرية ناشطة في هذا المضمار كعهدها دائماً، لا تعرف مجالاً يحقق لها مكاسب سياسية أو غير سياسية إلا وعملت به وشجعت عليه، ولقد رأت بالأذني ما يحقق لها الكثير مما تصبو إليه فكتب " الباكورة " وأورد فيها ما أملاه عليه طبعه، وما يرضى به

1- ولاية بيروت.

أسياده، ثمّ أعقبها بالسوسنة فنشروا له ما لفقه واختلقه، وباركوا له عمله وأجازوه عليه، ولم يلبث أن رجع من بيروت إلى آطنه بلباسه ككاهن كاثوليكي، ويُقال: أنه مات خنقاً.

إن نشر كتابه في هذه الأيام يندرج في النشاط الاستعماري الذي تمهد له مؤسسات الاستشراق والتبشير وأعوانهما.

*****

السؤال الخامس

موسوعة الإسلام " النسخة الإنجليزية لايدن حرف N "

موسوعة الأديان ص270– 277 ج1.

موسوعات أجنبية أخرى حكت عن العلويين – النصيريين كمؤلهة لعلي بن أبي طالب/ع/.

الشهرستاني والنوبختي على سبيل المثال قالا عن النصيرية أقوالاً متشابهة وقريبة مما تقول الموسوعات الأجنبية وغيرها من الكتب الحديثة.

من الكتب العربية " ولاية بيروت " الذي يفرد مؤلفه أكثر من مئة صفحة للحديث عن العلويين.

كذلك كتاب صادر في الإمارات العربية عن تاريخ العلويين ومعتقداتهم، ومذاهب الإسلاميين للدكتور عبد الرحمن بدوي، وكلها تتفق مع ما ذكرته المصادر الأجنبية والتراثية العربية.

كيف نفسر هذا التوافق التراثي، العربي – الإسلامي–والأوروبي في النظرة إلى العلويين ؟؟

هل كانوا كلهم على خطأ ؟؟ وكيف نفسّر ذلك ؟؟

وإذا كانت تلك المقالات متجنية جاهلة، وانتم تقولون باثني عشرية العلويين على الطريقة الجنبلانية، هل يمكن اعتبار مؤلهة علي غير مسلمين ؟! وحتى أولئك الذين يقولون بأقنوم لاهوتي ناسوتي في علي !! أو أنه مظهر من مظاهر الألوهة ؟؟.

*****

الجواب

1- الموسوعات

للموسوعات التي أشار إليها السؤال مصدران:

<u>الأول</u>: عربي ويشمل كل ما كتبه الشعوبيون، وأعوان السلطة والمتزلفون، وأرباب المذهبية الضيقة، والذين يبيتون للإسلام كيداً ضد العناصر المعارضة.

كل هؤلاء وبتشجيع وتمويل من السلطة الحاكمة، لم يدعوا تهمة إلا وألصقوها بهذه العناصر، ولا فرية إلا وألحقوها بها، ولا سوءاً إلا واعتبروها مسؤولة عنه، ثمّ قامت السلطة بتحريض بعض العلماء والفقهاء فألبسوا هذا العمل السياسي لباس الدين ليكون سوط عذاب بيد الحاكم يلهب به ظهر " المعارضة " وسيف نقمة ينقض على عنقها.

وإلى القراء نماذج من موقف العلماء من السلطة والمعارضة.

نتجاوز العقد الفريد، والانتصار، والفرق بين الفرق، والملل والنحل، ومنهاج السنة والبداية والنهاية وكلها رفدت الموسوعات بالمادة الخلافية، وصوّرت موقف الحاكمين من المعارضين ونقف عند آثار ثلاثة:

1- كتب الأصطخري كتاباً بالردّ على الباطنية وأهداه إلى القاهر الخليفة العباسي 320هـ فكافأه بوقف حبسه من بعده على أولاده.

2- كتب الإمام الغزالي كتابه المستظهري للخليفة العباسي المستظهر 487هـ بناء على طلبه رداً على خصمه الخليفة الفاطمي المستنصر.

ونورد هنا مقدمة كتاب الإمام الغزالي ومنها يطلع القراء على غلبة السياسة ونفوذ الساسة على علماء الدين أنفسهم.

قال الغزالي:

أما بعد: فإني لم أزل مدة المقام بمدينة السلام متشوقاً أن أخدم المواقف المقدسة النبوية الإمامية المستظهرية ضاعف الله جلالها، ومد على طبقات الخلق ظلالها، بتصنيف كتاب في علم الدين، أقتضي به شكر النعمة، وأقيم به رسم الخدمة، واجتني بما أتعاطاه من الكلفة ثمار القبول والزلفة.

ثم يقول: حتى خرجت الأوامر الشريفة المقدسة، النبوية، المستظهرية بالإشارة إلى الخادم.

فالإمام الغزالي حجة الإسلام على علو شأنه في العلم والدين خادم ينتظر الأوامر الشريفة أو الإشارة من الحضرة المقدسة الشريفة النبوية المستظهرية !!

ولما كان مراده أن يكتب كتاباً في علم الدين إذا بالأوامر المقدسة النبوية تصدر إليه بكتابة كتاب في السياسة يكشف فضائح الخليفة

المستنصر الفاطمي، ويدلل على بدعه وضلالاته وحتى على انسلاخه عن الإسلام هو وأتباعه.

هذا هو موقف الإمام الغزالي بالنسبة للحاكمين والمعارضين فكيف بمن هم دونه مرتبة وعلماً ؟؟ كيف بأولئك الذين يريدون بالإسلام كيداً، وبالمسلمين شراً، وبالمال طمعاً، وبالزلفى تقرباً ؟؟

ولقد ردّ على الإمام الغزالي الداعية الفاطمي محمد بن الوليد اليمني بكتاب سماه " دامغ الباطل، وحتف المناضل ".

3- وأصدر ابن تيمية فتاويه، الحموية- زيارة القبور – النصيرية، فرد عليه عدد من الفقهاء والعلماء نذكر منهم:

1- الإمام السبكي في كتابه شفاء الغليل.

2- قاضي المالكية تقي الدين في الدرة المضيئة.

3- تاج الدين الفاكهاني في التحفة المختارة.

4- سليمان بن عبد الوهاب في الصواعق الإلهية.

5- ابن حجر في الفتاوي الحديثة.

6- القسطلاني في المواهب اللدنية.

7- الزرقاني في شرح المواهب.. وغيرهم.

ومع أنّ هذه المصادر التي تبحث في الخلاف قد استنكرها الكثيرون من علماء الأمة كما يرى القراء فإن المستشرقين وأعوانهم

تهافتوا عليها، ووجدوا فيها ضالتهم التي ينشدونها، وغايتهم التي يطلبونها ورفدوا بها موسوعاتهم.

2- المصدر الأجنبي:

1- هيأ المؤرخون العرب التربة الصالحة للمستشرقين وموسوعاتهم بما دونوه من تاريخ الخلاف والصراع السياسي بين الحكم والمعارضة.

2- أضاف المستشرقون إليها ما كتبه مؤرخو الحروب الصليبية على مدة مئتي عام من الصراع والكفاح، والاقتتال، وماذا ينتظر منهم أن يكتبوا ؟!

3- من هنا اغترف أصحاب الموسوعات الأجنبية ماءهم وزادهم، وجمعوا معلوماتهم، ودرسوا وحللوا هذه القضايا السياسية والتاريخية وكما طاب لهم، وتركوها بين أيدي الدارسين.

وسبق لنا أن تحدثنا عن بعض هذه المصادر السياسية وعن أغراض وظروف مؤلفيها.

ولما كان كتاب ولاية بيروت يعتمد عليها كأساس كما يقول صاحبه أمكننا القول: أنّ الأساس غير متين، وكلّ ما أقيم عليه مصيره الانهيار.

كتب" رينه دوسو " كتابه عن النصيرية سنة 1900م وكتب التميمي كتابه سنة 1917م.

ومن التناقضات التي يحفل بها كتاب ولاية بيروت قول مؤلفه: أنّ الحاكم بأمر الله المنصور بن العزيز استعان بالعقيدة النصيرية مع وزيره حمزة بن علي لما توسع في ألوهية علي، وكذا فعل راشد سنان الدين الداعية الإسماعيلي واتبع نفس الخطة[1].

ويزعم أن عقائد " ؟؟ " النصيرية انتشرت في أوائل القرن الخامس الهجري وكل مطلع على التاريخ وخاصة تاريخ المذاهب الإسلامية يعلم أن الإسماعيلية كمذهب تشكلت منذ القرن الثاني الهجري أي في عهد الإمام السادس جعفر الصادق الذي يلتقي فيه الإسماعيليون والاثنا عشريون ومنه انقسموا إلى إسماعيليين وموسويين أتباع أخيه موسى المعروف بالكاظم وفي هذا القرن تشكلت المذاهب الإسلامية: أبو حنيفة 80–150هـ ومالك 93–179هـ، والشافعي 150–204هـ، وابن حنبل169–241هـ.

فإذا كانت العقائد النصيرية كما يزعم صاحب ولاية بيروت قد انتشرت في أوائل القرن الخامس فكيف استعان بها واعتمد عليها المنصور ووزيره حمزة عندما أنشأا عقيدتهما ؟؟ وكيف ردّ عليها الداعية

1– ولاية بيروت ج2 ص89.

حمزة وتنكر لها في رسالته الدامغة ؟؟ والرسالة الدامغة من المصادر التي يعتمد عليها صاحب الولاية !!

وكيف اعتمد عليها سنان راشد الدين الداعية الإسماعيلي مع أن الإسماعيلية نشأت في القرن الثاني الهجري ؟؟

ومن تخرصات صاحب ولاية بيروت: إن النصيريين في أيامه 1917م لا يتجاوز عددهم 13000 ألفاً في لوائي اللاذقية وطرابلس، والإحصاء الأخير لهم تجاوز الثلاثة الملايين، وعلى زعمه هذا تكون كل امرأة – خلال 74 عاماً ولدت أربع مرات في العام الواحد وفق حساب السلاسل العددية.

ذكرتني هذه الكذبة بنظيرتها في التوراة القائلة: أنّ أولاد يعقوب وذريتهم عندما ارتحلوا من أرض كنعان إلى مصر كان عددهم نساءً ورجالاً 70 نسمة وعند خروجهم بعد 400 عاما ونيفاً بلغوا أعداداً مذهلة[1].

ومن أغاليطه التي يشاركه فيها " رينه دوسو " أنّ النصيرية نسبة إلى نصير مولى علي بن أبي طالب، أو نصير أحد وزراء معاوية أو إلى محمد بن نصير، ويورد أقصوصة خرافية حول مولد محمد بن نصير.

1– سفر العدد من التوراة.

ويزعم أن النصيرية يتكلمون السريانية وهو زعم لم يأت به غيره من المؤرخين.

ولكنه يرد مزاعم الأب " لامنس " اليسوعي بأنّ النصيرية كانوا على دين النصرانية قبل الإسلام، ويقول: يجب على القارئ أن يكون على يقظة من أمره تجاه هذا الادعاء لأن هذا المستشرق ينتمي إلى فئة " الجزويت " التي لو تمكنت لجعلت جميع سكان البسيطة نصارى !!

ونحن نورد مصداقاً لقوله هذا، وهو أن زميله المستشرق " لويس شيخو " اليسوعي ألّف كتاباً عن شعراء العرب في الجاهلية وحوّل كلّ شعراء تلك العصور إلى نصارى ودعا كتابه " شعراء النصرانية " واعتمد في تحقيق ذلك على بعض الألفاظ فكلّ شاعر وردت في شعره لفظة دير" أو زيت " أو مصاح فهو شاعر نصراني.

ولقد علق بعض النقاد على عمله هذا قائلاً: لم يعرف التاريخ سارقاً أبرع من الأب" لويس شيخو " لقد سرق شعراء العرب ونصّرهم أمواتاً. وظلّ خطره يحوم على الأحياء.

ويقول صاحب كتاب الولاية أيضاً:

إنّ المستشرق " دوسو " ينكر على من يزعم- ويقصد الأب لامنس – أنّ النصيريين دخلوا في النصرانية قبلاً ثم انسلخوا عنها، ويسوق

الأدلة والبراهين، ويأتي بالحجج على صحة هذا الإنكار ويقول: ولا بدّ لمن يطلع على آراء هذين المستشرقين – لامنس – شيخو أن تعتريه الحيرة، ويظن الظنون.

صاحب كتاب ولاية بيروت الذي يحشد خليطاً من الأقوال، وشتيتاً من التهم ليدين النصيريين يشك في المستشرقين، وسوء نواياهم، ويظن بهم الظنون على زعم الغاية التي يلتقي معهم فيها، والرابطة التي تشدّه إليهم، أنّ هذا الشيء عجاب، ولكن: تأبى الحقيقة إلا أن تظهر من وراء ضباب الأضاليل.

أما إنكار " دوسو " أن يكون النصيريين نصارى قبل الإسلام فهو يدل على جهل تامّ بوضع بلاد العرب قبل الإسلام، فالناس– كل الناس – في تلك العصور كانوا من حيث التدين إما وثنيين، أو يهوداً أو مسيحيين.

ألم يكن المسيحيون قبل المسيحية يهوداً، أو وثنيين ؟؟ وإلا فماذا كانوا ؟؟

كما ينكر دوسو أن يكون النصيريون أخذوا عيد الميلاد " ؟؟ " عن المسيحية لأن يوم الميلاد هو عيد " ميسترا، وملكارث " عند القدماء، وكان معروفاً عند الرومانيين، وقد أخذه النصارى عن الوثنيين.

مؤلف كتاب ولاية بيروت على ما فيه من التخبط في الأسماء والأمكنة والأزمنة يقول ما ملخصه في ص28ج2:

تعرض المسلمون والنصارى لهذه الفئة، ويقصد النصيريين، وألصقوا بها العادات الذميمة لأنه من المسلّم به في تاريخ الأديان أنّ العقيدة الدينية إذا كانت قليلة الأفراد، مسورة بالخصوم والمخالفين، لا بدّ لها أن تكون عرضة للطعن والقدح، لقد كانت النصرانية في بادئ أمرها هدفاً لتعرّض الرومانيين وافتراءاتهم.

هذا قول صحيح ملؤه الحق، الحق الذي لم نعهده في أقوال الخصوم وما أكثرهم، غنها يقظة ضمير عابرة، ونفحة وجدان عاطرة، ولكن النصيريين لم يتعرضوا لما تعرضوا له بسبب العقيدة الدينية، بل بسبب العقيدة السياسية، وهذه العقيدة السياسية صبغها أخصامهم السياسيين بالصبغة الدينية، ليصحّ لهم الطعن والوقيعة بهم.

ويقول صاحب الولاية بعد أن يستعرض رسالة حمزة بن علي: إن هذه الاتهامات مختلفة، إذ لا يعثر في كتب النصيرية، ولا في أغانيهم أدنى إشارة تدلّ على صحتها، وقد أجمع كل من احتكّ بهذه الطائفة واختبرها على أنّ لا صحة لوجود تلك النقائض الأخلاقية فيهم[1].

1- ولاية بيروت ج2 ص99.

أما الكتاب الصادر في الإمارات العربية فهو سياسي عدائي مأجور من المخابرات الأجنبية في فترة ذلك النشاط المحموم، ومثله كتاب إبراهيم الجبهان الذي يتناول فيه الإمام الصادق بكل مايشين، ويأباه ضمير كل مسلم حر، والإمام الصادق كما يعلم كل فريق في الإسلام هو إمام لكثير من الأئمة أخذوا منه، ورووا عنه ولكنها السياسة.

*****

لا يوجد مؤلهة لعلي بمعنى التأليه المعروف عند المسيحيين للمسيح مثلاً، بل يوجد نمط من المغالاة في حبه عند بعض المسلمين فيرون أنّ علياً فوق المخلوقين قداسة، ودون الخالق والأنبياء مرتبة، أو ما يعبر عنه بـ" السوبرمان " أي الإنسان المتفوق، أو حلقة الوصل بين الإنسان والإنسان الكامل، وهذا أقصى ما بلغ المغالون في علي/ع/.

أما القائلون بأقنوم ناسوتي، وأقنوم لاهوتي في علي/ع/ فلا وجود لهم، ولم يسمع بهم أحد، ولا نعلم عنهم شيئاً، وربما كان المقصود بهم أولئك الذين مر ذكرهم آنفاً، وهو الأرجح والأقرب للمنطق.

ليس في كل مصطلحات العقائد الإسلامية أقنوم، أو أقانيم، والأقانيم من مصطلحات المسيحية التي تجعل الإله في ثلاثة أقانيم / آب وابن وروح قدس /، والسيد المسيح لذكره السلام أحد هذه الأقانيم، وهذا التثليث كما اجمع الدارسون هو مرحلة من مراحل الانتقال من

التعدد إلى الوحدانية، فقد اتجهت المسيحية في هذه المرحلة إلى القول بالإله الواحد ولكنها لم تستطع الانعتاق من التعددية فكان الإله الواحد ثلاثة أقانيم.

أما الإسلام ودستوره القرآن الكريم فيقوم على التوحيد وإفراد الإله، **اللَّهُ أَحَدٌ* اللَّهُ الصَّمَدُ* لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ* وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُواً أَحَدٌ.. أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ.. لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلا اللَّهُ لَفَسَدَتَا.. لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ..**

الإله في الإسلام متوحد غير متعدد، ومجرد غير مجسّد.

بهذه الوحدانية تفرّد الإسلام كما تميّز بنفي التجسيم والتجسيد والشبه والحوادث، لا تدركه الأبصار، وصنعته تدل على وجوده وقدرته توحي بإحاطته بكل شي ! ما يُرى، وما لا يرى.

أما كيف وجدت هذه المزاعم – تأليه علي، والاقنومان اللاهوتي والناسوتي به – ومتى ابتدعت هذه الافتراءات، واجترحت تلك المثالب والسيئات، فكله من عمل السياسة لدمغ المعارضين أولاً ومن سموم الشعوبية ثانياً، والمذهبية الضيقة ثالثاً، وأصحاب الكيد للإسلام رابعاً، وعمل الاستعمار وأعوانه من المستشرقين والمبشرين خامساً، ومثل هذا الأمر، وشبه بهذه الأحداث، ونظير هذه الوقائع، وقريب من هذه النزعات والنزغات حدث للمسيحية في عصورها السابقة.

لقد عرفت المسيحية الاضطهاد بكل أنواعه من السلطات الحاكمة، وتعرضت لأنواع الاختلافات المذهبية، وعانت من التهم والمكايد، والتمزق والتشرد، والتكفير والتبديع وتشديد النكير، وإلى القراء بعض الأمثلة.

صلب الوالي الروماني الأقنوم الإلهي المتجسد في السيد المسيح لأنه عارض ما يرتكبون من شرور وآثام فاتهموه بأنه يريد تقويض السلطة. وقال تلامذته صلب مختاراً ليحمل خطايا شعبه !!

ولقي تلامذته ومريدوه ألواناً شتى من العذابات، وعلى رأسهم بولس – رسول الأمم – وسبق إلى روما حيث قطع رأسه.

ومات بطرس مصلوباً ورأسه مدلى إلى الأسفل.

ويقول ول ديورانت: إنّ أتباع المسيح انقسموا في القرون الثلاثة الأولى إلى مئة عقيدة وعقيدة.

أما الشيع الضالة الأخرى فقد كانت مما يخطئه العد والحصر، كالمتخيلة والثيودوتية، والمتبينة، والظاهرية، والسابلية وغيرهن[1].

وهناك الخلافات والانقسامات على المستويات العليا كانقسامات المجامع المسكونة، والحرمان، والطرد، والتفكير، ونورد هنا بعضاً من هذه الانقسامات.

1- قصة الحضارة ج11 ص394.

1	مجمع نيقيه	حرم أريوس 325م
2	مجمع القسطنطينية 1	حرم مقدونيوس 381م
3	مجمع أفسس	حرم نسطور 431م
4	مجمع خلقيدونية	حرم أوطيخا 451م
5	مجمع القسطنطينية 2	حرم الكتبة الثلاث 553م
6	مجمع القسطنطينية 6	حرم يوحنا مارون 680م
7	مجمع القسطنطينية 3	حرم المونوتيلة 681م
8	مجمع نيقيه 2	حرم محاربي الأيقونات787م
9	مجمع القسطنطينية 4	حرم فوتيوس 869م
10	التريدنتيني	حرم البروتستانت 1545م
11	مجمع الفاتيكان1	حرم العصمة البابوية1869م

وفي عام1054م تبودل قرار الحرمان بين الكنيستين الغربية والشرقية[1].

ونكتفي بهذا القدر، وندع عرض واستعراض خلافات المجامع الشرقية اختصاراً وتوفيراً لوقت القارئ.

لا يعنينا أمر هذه الخلافات من قريب ولا من بعيد، لكن الذي يعنينا هو اهتمام بعض الدوائر والمؤسسات الاستشراقية والتبشيرية بشؤون الإسلام والمسلمين وخلافاتهم، وتعقّب سلبيات وأخطاء تاريخهم،

1- تاريخ الحروب الصليبية لستيفن رنسيمان المجلد الأول ص101.

والتركيز على إظهار خلافات الفرق الإسلامية مع بعضها في بعض الاجتهادات بمظهر الخلاف الإيديولوجي، واهتمامهم بتأليف الكتب، ونشر المقالات وتدوين الموسوعات، وطرح الأسئلة حول كل صغيرة وكبيرة في التاريخ العربي– الإسلامي وإغفالهم ما في تاريخهم من الكوارث الخلافية، التي تبلغ" الحرمان " ودرجة " الخطيئة " المميتة !!

كل هذه الانقسامات كانت لأسباب سياسية مغلّفة بأسباب دينية حادّة، وماذا في " الحرمان " ؟؟ ألا يعني الحرمان من نعمة الكنيسة، وشفاعة القديسين، وإغلاق الملكوت السماوي في وجه روح المحروم، لتظل ضالة حائرة، أو تتلقفها الأبالسة والشياطين حيث تودعها الجحيم وعالم الظلام، وهناك البكاء صرير الأسنان !!

أما يعلم صاحبنا الصحفي الباحث أن لدى العالم المسيحي خلافاته وفرقه التي لا تحصى كما يقول ول ديورانت فليته اهتم هو وشركته بتلك الخلافات وتركوا المسلمين وشأنهم !!

لماذا يحزّ في وجدانه الطاهر ويخزّ في ضميره الحرّ ما في الإسلام من نقص في التشريع – كما يزعم – وما بين فرقة من خلافات شكلية وخاصة العلويين !!

يقول السيد المسيح لذكره المجد: يا مرائي لماذا تنظر القذى في عين أخيك، وأما الخشبة التي في عينك فلا تفطن لها، وكيف تقول لأخيك:

يا أخي دعني أخرج القذى الذي في عينك، وأنت لا تنظر الخشبة التي في عينك، يا مرائي !! اخرج الخشبة أولاً من عينك، وحينئذ تبصر جيداً أن تخرج القذى الذي في عين أخيك[1].

ونسأل بعد كل هذا، بعد كل ما تقدم، من المرائي ؟؟؟

*****

1- لوقا الإصحاح السادس/43/.

السؤال السادس

محمد بن نصير الفهري النميري

أبو القاسم سعيد بن ميمون الطبراني(كذا).

الحسين بن حمدان الخصيبي.

شخصيات ربطت بالعلويين بشكل، أو بآخر.

الأخبار عن ابن نصير قليلة ومتضاربة.

والخصيبي يقولون عنه في المصادر الشيعية(يرجى مراجعة أعيان الشيعة للسيد محسن الأمين) فيما يقولون: إنه صاحب مذهب فاسد، وقد اطلعت شخصياً على كتابه الذي منع من التداول أخيراً في السوق " الهداية الكبرى " ووجدت أقوالاً في أبي بكر وعمر لا يقولها المسلمون،

كما ورد في ديوانه المخطوط إشارات كثيرة إلى شرب الخمر بطريقة سرية.

الطبراني ميمون ثالث هام جداً، وميمون اسم يهودي معروف، والطبراني من طبرية عاصمة اللاهوت العبراني على ممر العصور، والطبراني خلف الخصيبي في زعامة العلويين دينياً.

ماذا يمكن أن نستنتج من كل ما سبق ؟

سؤال لا يحتاج إلى التطويل.

الجواب

لماذا يحدد لنا العمل بقوله: سؤال لا يحتاج إلى التطويل، وقد أورد في سؤاله عديداً من النقاط الهامة هي بحاجة إلى مزيد من البحث والإيضاح !!

1- محمد بن نصير العبدي البكري النميري، ولم نجد فيما لدينا من المصادر أنّ " الفهري " من كناه أو نسبته، وهو " بواب " الحسن العسكري الإمام الحادي عشر، وقد نازعه بعض أصحاب الإمام على هذه المرتبة، وقد تقدم بحث هذا الموضوع في الصفحة (   ) من هذا الكتاب.

ولقد تخبّط المؤرخون قديماً وحديثاً جهلاً أو قصداً في نسبة النصيريين، فتارة إلى محمد بن نصير هذا، وطوراً لنصير مولى علي بن أبي طالب، وأحياناً إلى نصير احد وزراء معاوية كما يزعمون، وأحياناً إلى جبال " النصيرة "، هذه الجبال الواقعة بين نهر العاصي شرقاً والبحر الأبيض المتوسط غرباً، وبين جبال طوروس شمالاً وجبال

لبنـــان جنوبـــاً، كمـــا أرجـــع بعضـــهم هـــذه النســـبة إلـــى النصـــارى، أو الأنصار [1]!!

ولم يقتصر هذا الحقد الغريب والخلط العجيب على النصيريين في مجال أنسابهم ونكران عروبتهم، بل تعداهم إلى الموحدين الدروز فهم في نظـر المستشـرقين والشـعوبيين مـن أصـل أعجمـي حينـاً، ومـن الجـنس الهندي أحياناً، ومن الحثيين تارة ومنهم من نسبهم إلى الغاليين ولم تفت هـذه الأكاذيـب الأعاجيـب أنسـاب الإسـماعيليين أيضـاً. فقد ألصـق بهـم وبأنسـابهم أصـحاب الأغـراض والأمـراض كـل مـا يـدين ويشـين ولكـن غضب الله محيط بالكاذبين ورحمته قريب من المحسنين.

وعجبـت لهـؤلاء المجتهـدين فـي نسـب " النصـيرية " مـن المـؤرخين كيـف فـاتهم جبـل " نصـير " الواقـع شـمال العـراق ؟ ولـو دار بخلـدهم أو حصـل فـي ثقـافتهم لمـا أغفلـوه وخاصـة صـاحبنا السـائل والصـحفي الباحـث وقـد أفـرغ جهـده، وبـذل كـل مـا فـي وسـعه، وكـدّ ذهنـه، ليجعـل موطنهم هناك بالقرب من العراق حيث يوجد أرباب العقائد المختلفة.

وإذا أردنـا أن نضـع أيـدينا علـى أسـباب الخـلاف بـين ابـن نصـير، وبين أخصامه يجب علينا أن نرجع إلى زمن الإمامين الحسن العسكري

1- راجـع عبـد الرحمن بـدوي ج2 مـن مـذاهب الإسـلاميين، والجـزء الثـاني مـن ولايـة بيـروت والمـؤرخ اليوناني استرابون.

وولـده محمـد بـن الحسـن المعـروف عنـد الشـيعة الإماميـة بالمهـدي المنتظر، وإلـى تمحيص أقوال مؤرخي تلـك الفترة، وكيـف كـان موقف بعض المؤرخين من هذا الخلاف.

1- عثمـان بـن محمـد بـن سـعيد العمـري، وابنـه محمـد بـن عثمـان، وأبو الحسين علي بن محمد السمري، والحسين بن روح النوبختـي.

هؤلاء الأربعة يقول عنهم بعض الشيعة الإمامية أنهم رُسُل الإمام الحادي عشر الحسن العسكري،وولده محمد المهدي، وانتهى إليهم شرف البابيـة، والقـرب مـن الإمـاميين، ويـدعم هـذا القـول المؤرخـون مـن آل نوبخت الأسرة الفارسية المعروفة.

أمـا محمـد بـن نصـير العبـدي البكـري النميـري قيـرى أنصـاره أنـه الوحيد الذي حصل على شرف البابية لدى الإمامين العسكري والمنتظر، ويدعمه آل الفرات الأسرة العربية المعروفة[1].

أمـا الشـلمغاني ابـن أبـي العزاقـر، والحسـين بـن منصـور الحـلاج، والسريعي، الذين زاحموا أو حاولوا أن يزاحموا على البابية، فهم مدفوعون عنها من كلا الفئتين.

قلنـا: أنّ محمـد بـن نصـير حصـل علـى شـرف البابيـة حسـب أقـوال أنصاره دون الآخرين مما جعل أخصامه النوبخيين وعلى رأسهم الحسين

1- الاحتجاج للطبرسي.

بـن روح النـوبختي ينكـرون عليـه ذلـك- أي شـرف البابيـة – ويـرى مؤرخوهم أن هناك براءة منه، وصدقها الإمام الحسن[1].

من هنا جاءت أقوال بعض المؤرخين تحمل طعناً على محمد بن نصير، وتشنيعاً نترفع بكتابنا هذا عن إيراده والخوض فيه، ولكن نقول: إنّ هـذه الخصـومة لا يمكـن الاعتمـاد عليهـا كوثـائق تاريخيـة لأنهـا مشحونة بما ينفر منه الذوق ويردّها المؤرخ الحصيف.

أما صاحبنا الصحفي الباحث فيرى فيها- كما رأى بغيرها- وثيقة تحقق له مطلبه.

أما كتاب " فرق الشيعة " لأبي محمد الحسن بن موسى النوبختي الذي يشير إليه صاحبنا، فيقول عنه عباس إقبال في رسالته " خندان نوبخت " أنه ضاع، وأن الكتاب الموجود بين أيدينا هو لسعيد بن عبد الله الأشعري.

ويـدل علـى ذلـك مـا أمـلاه فـي مقدمتـه هبـة الله الحسـيني الشهرستاني[2] أن ابنه – أي محمد بن الحسن النوبختي- هذا توفي سنة 2020 هـ، فكيف أرخ والده لمحمد بن نصير 250هـ.

1- نفس المصدر.

2- ترجمة دار الفكر بيروت.

والنوبختي صاحب كتاب فرق الشيعة هذا من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية، ولقد ترجم لخالد بن يزيد بن معاوية، ثم كان إسلامه في بدء الدولة العباسية على يدي المنصور، وحظي عنده وأقطعه ألفي جريب " قياس مساحة معروف يومئذ " من الحويزة، وشارك في بناء بغداد كمنجم، فكيف أرّخ لابن نصير ؟؟.

ولهذا نكرر القول والتنبيه: إن صاحبنا الصحفي الباحث يسوق الحوادث بدون تحقيق، ويوردها بدون توثيق، ولذلك نسأله: أي نوبختي اعتمد عليه فيما أورده ؟؟.

2- أما أبو القاسم سعيد بن ميمون الطبراني !! هكذا ورد في صيغة السؤال، والصحيح: أبو سعيد ميمون بن القاسم الطبراني.

أبو سعيد هذا لم يخلف الخصيبي في زعامة العلويين الدينية كما يقول السائل، بل سبقه إلى هذه المرتبة غيره.

أما استنتاج السائل يهوديته من اسمه " ميمون " فمدعاة للعجب والإضحاك والإشفاق، ولا نعلم هل جاء بها قصداً وتعمداً- وقد عودنا هذا- أم جاء جهلاً فاضحاً في لغة العرب ؟؟

يقال: فلان ميمون الطالع، ميمون النقيبة، ميمون الطلعة، وهذا مشتق من اليمن والبركة.

في التاريخ العربي ورد اسم ابن ميمون، وهو فيلسوف يهودي عاصر صرح الدين الأيوبي، ومولده في المغرب، واسم والده ميمون جاء من العربية لا من العبرية، ولكن الغاية التي تبرر الواسطة هي التي حدت بالسائل ليربط بين اسم ميمون واليهودية.

ذكرني هذا الاستنتاج بما فعله الأب لويس شيخو اليسوعي في كتابه " شعراء النصرانية " حيث اعتمد في تحقيقه وتدقيقه، والتزامه بالحياد، وحباً بالنزاهة، وإخلاصاً للحقيقة التاريخية أن يرى كل شاعر وردت عنده لفظة قنديل، أو زيت أو دير، هو شاعر نصراني وقد تقدم هذا التعليق في محل آخر من هذا الكتاب !!

علماً بأن الجزيرة العربية في الجاهلية لم تعرف إلا الوثنية باستثناء نجران، وبعض الغساسنة، وهكذا كانت الغاية وراء كل ضلالة في التاريخ !!

وإذا كانت طبرية عاصمة اللاهوت العبراني على مر العصور كما يرى فهل يعني هذا إن من ولد ونشأ فيها في العصور الأخيرة هو يهودي بالضرورة ؟؟

ونسأل: هل ظلت طبرية عاصمة اللاهوت العبراني في العصور الإسلامية، وبعد أن فتح المسلمون العرب فلسطين ؟؟

وهل المدينة " يثرب " لم تزل يهودية يمارس فيها بنو النضير، وبنو قريظة، وبنو القينقاع طقوس اللاهوت العبراني ؟؟ باعتبارها كانت موطن هذه القبائل، ومثلها خيبر ؟؟

وهل المسيحية يهودية باعتبارها – كما سبق وقلنا – نشأت في الناصرة والجليل، والقدس – أورشليم – موطن اليهودية ؟؟ ومنشأ أنبيائها.

وهل السيد المسيح – كما سبق وتساءلنا أيضاً يهودي باعتبار أمه، وزوجها – يوسف النجار، وأخوته – أخوة المسيح – يعقوب ويوسف وشمعون ويهوذا يهوداً[1].

وهل نستدل بالاسم يشوع – يسوع– الاسم العبراني ومعناه " يهوه مخلّص " على ذلك ؟؟ ويهوه إله اليهود، والمسيح هو اللقب!!

3– الخصيبي شيخ طريقة صوفية كبقية الطرق المعروفة في الإسلام واليهودية والمسيحية، ويعتبر مرجعاً في هذه الطريقة كغيره من شيوخ الطرق انتهت إليه رئاستها بعد الأئمة الذين أخذ عنهم آدابها وله عدة مؤلفات في الفقه والتاريخ الشيعي ذكرها العلامة محسن الأمين في

1– ول ديورانت قصة الحضارة مجلد 11 ص213.

كتابه أعيان الشيعة، الكتاب الذي تدعونا إلى مراجعته، وهي: الأخوان، المسائل، تاريخ الأئمة، الرسالة، أسماء النبي، أسماء الأئمة، المائدة، الهداية، الروضة، أحوال أصحاب الرسول أخبارهم[1].

وفي كتاب أعيان الشيعة ترجمة للخصيبي، وأقوال العلماء فيه، وردّ على المتحاملين عليه كابن الغضائري لم يسلم منه أحد ولذلك لم يعتن العلماء بمذمومه.

وفي لسان الميزان يقول عنه: أحد المصنفين في فقه الإمامة روى عنه أبو العباس بن عقدة، وأثنى عليه وأنه كان يءم سيف الدولة علي بن حمدان.

وروى التلعكبري أنه سمع منه في داره بالكوفة سنة 344 وله منه إجازة[2].

ويقول العلامة محسن الأمين: لو صحّ ما قال فيه أخصامه لما كان سيف الدولة يأتم به، وفي إجازة التلعكبري ما يدل على مكانته العلمية.

هذا شيء من حياة الخصيبي وأعماله فكيف يقول الصحفي الباحث: أنه صاحب مذهب فاسد، ويطلب إلينا أن نراجع كتاب أعيان

1- كتاب أعيان الشيعة للسيد محسن الأمين ج24 ص 345 الرقم 5117.

2- الفهرست.

الشيعة للسيد محسن الأمين لنستوثق من كلامه وإذا العكس هو الصحيح وقد أوردنا رأي السيد الأمين.

كتاب الهداية مذكور بين كتب الخصيبي التي أوردها الأمين ولا يحتوي أي رواية تمس الصحابة الكرام، أما الهداية الكبرى فربما كانت لغير الخصيبي.

أما الديوان المخطوط المنسوب إليه فأكثره – إن لم نقل كله- مدسوس عليه، ويتضح ذلك من أسلوبه ولغته.

أما الإشارة إلى الخمرة التي ترد في أشعار المتصوفة كابن الفارض وغيره من العارفين أصحاب القلوب والمواجيد كما يسمونهم فليست هي الخمرة المادية المحرمة في القرآن، وإنما هي خمرة الحب والوجد والعرفان الصوفي كما هو الحال عند ابن عربي والعطار والسهروردي.

وإلى القراء بعض خطب ووصايا السيد الخصيبي لطلابه ومريديه ومنها يظهر مدى حرصه وحضه على التمسك بالكتاب الكريم والسنة المطهرة، والخلاق الفاضلة والسلوك المستقيم والإيمان بالله والدعوة لإصلاح الفرد والمجتمع.

اعلموا أيها السادة أن الله وله الحمد، أنعم علينا بإيجادنا من لا شيء. ويسرّنا للسعي ، وأوجد لنا الأسباب، وأعطانا العقل، ومنحنا حرية الإرادة، وجوهر الاختيار، فالعناية الإلهية، جلت حكمتها، قضت

وأبـت إلا أن تكـون الأمـور منوطـة بسلسـلة أسـبابها، لأن لكـل مخلـوق حاجـة، ولكـلّ حاجـة غايـة، والله سـبحانه وقّـت أقـدارها، وهيـأ للغايـات سُبلها، وأنّ غاية كل مخلوق صـلاح معاشـه ومعاده، واعلموا هداكم الله إلـى الحق، وجعلكم من أتباعـه، وعصمكم من الباطـل، وجنّبكم صـحبة أهله، وسهّل لكم سبل الخير، وأرشدكم إلى معرفة أهله، واعلموا وفقكم الله إذا تبينتم أفعالاً واقعية، وأعمالاً طبيعية، وعلمتم الاختلاف فيها فيما بين الرسالة والوقت الحاضر، فلا تجمدوا وتتحيروا لأن ثلاث مائة وخمسين عاماً بعد الهجرة لكافية بأن تحدث اختلافات في شؤون الحياة العامة، وأطوار الاجتماع الإنساني يحدث فيه التغيّر للرأي الاجتهادي، فكيف لا وقد تغيّرت الأحكام، وتبدلت الحكام، ونشأ الترف، وتوفر المال، وظهرت البـدع، وأصـيب التفكيـر والتعبيـر بتبـدلات دينيـة، وإجماعـات سياسـية، والزمان قد استدار، وتغيرت معه الأطوار، فإصـلاحنا الاجتمـاعي أصـبح متوقفـاً علــى نظـرة اجتهاديــة يقـوم بهـا جمــع مـن المفكـرين بعصــرنا الحاضر.

هذا كل ما أريده منكم أيها السادة، وأحب أن ينشأ فيكم رجال تتوفر فيهم ملكـة الفهم، فيستنبطون من الطرائق حقائق، ومن الفروع أصـولاً، ومـن أقوال مـن تقـدمهم أحكامـاً تنطبـق علـى الأحكـام الشـرعية، ويكـون استنباطهم إجماعياً لا فردياً، وليكن لكم في كلّ بلدة رئيس ديني ترجعون

إليه، وتعتمدون عليه، في تعيين أرباب الوظائف الدينية من أهل المقدرة، والكفاءة من خير الأعمال وأشرفها، وأشدها تأثيراً في إصلاح الأخلاق والآداب، والرجوع إلى فضائل الدين، وما أحوجنا إلى هذا العمل !!

واعلموا أيّدكم الله أن من الواجب عليكم أن تقدموا من الخير للمجتمع لإصلاح شأنه، ومن الخدمة للوطن لحفظ مكانته، لأن قوى الإنسان باجتماعه، وسيادته بتعاونه، ولا فرد منكم إلا له حق، وعليه واجب، ومن أهم الواجبات الدينية التي تترتب على كل فرد، أن يعتقد بالله اعتقاداً كاملاً لوجوده، وأن في هذا الكون قوة إلهية تحركه، وتدير شؤونه، وهي سبب وجوده، وعلة بقائه، وعليه أن يقوم بما أمر الله به، وينتهي عما نهى عنه على الوجه الأكمل الأتم من عبادات ومعاملات، ووفاق وأخلاق وآداب، فبهذا يكون كما رقيكم وسعة أفقكم، وبغيره يضعف تضامنكم، وتفقد كرامة نفوسكم، فتظهر بينكم فكرة الحزب، وتسيطر عليكم أرواح الأنانية، فتعدمون الإيمان والاهتمام بحقوق الغير، فيحصل الانحطاط، فلا كرامة ولا زلفى لكم عند الله.

وأخوف ما أخافه عليكم أن تمشي بكم الروايات والأخبار التي لا يشهد لها الكتاب والسنة، لأنّ الرواية مظنة ريب، والخبر خبر غيب، ونحن يا سادة مهما استوثقنا من الراوي واعتقدنا صدقه، كان بيننا وبينه مجال للظن، فارفعوا حجب الغشاوة عن أعينكم، وكسف الغباوة عن

قلوبكم، ولا تجمدوا على ما تخيلتم أو تخيل إليكم، فتصبحوا في ظلمة الجهل يوم يسعى أهل العلم بنور علمهم، وانهضوا للعمل، وأقبلوا على الخبر، ولا تقولوا غداً فإن تحصيل الكمالات ميسّر لكم في كل وقت، فلا ينبغي التقاعد عن اكتساب الفضائل، لأنّ الفضيلة ما استحكمت في قوم ألا توصلوا إلى نيل أغراضهم، والظفر بمصالحهم، واحذروا كل الحذر أن تتعجلوا بالحكم قبل استيفاء الحجة، وإيضاح المحجة، وأن تبرموا القضاء قبل امتحان الشهادة، وعليكم الأخذ بالنص عند وجوده، وبالاجتهاد عند عدمه، لأنّ النصوص المتناهية لا تستوعب الوقائع غير المتناهية، فلا بد من الاجتهاد في إرجاع الوقائع الخاصة إلى النصوص العامة، لأنه لا يشترط في الحق أن يكون معقولاً في نفسه فحسب، بل يشترط فيه أن يكون موافقاً للكتاب والسنة، لأنّ للحق آيات تدلّ عليه، وعلامات تهدي إليه، لا تدع سبيلاً إلى الشك، ولا طريقاً للارتياب، واعلموا هداكم الله أن لله في كلّ دقيقة حكماً، وفي كل حادثة أمراً ونهياً، وها أنا في ما أوصيتكم به قد وضعت في متناول أيديكم صفحة للتفكير الحي الخصيب، وجعلت تحت أنظاركم أمثلة خليق بكم أن تعيروها أصدق تعبير، وتتمثلوها أحسن تمثيل بكل ما أشكل عليكم، فمنها وبها تظهر لكم المعارف زاهية، جديدة كما تظهر الأشياء تحت ضوء الشمس

الساطعة، بعد أن كان يعلوها ضباب كثيف وبخار معتم، ومن اللازم الضروري أن تدققوا فيما بين أيديكم، وتحت أنظاركم من الأحاديث والأخبار فتحذفوا منها ما كان بعيداً عن العقل، ولا يدخل في تصور الأفكار، ولا يتفق مع الكتاب والسنة، لأن الإسلام قد ابتلى من أول نشأته بالوضاعين الذين وضعوا الأحاديث ولفقوها ودسوها في عقول من أظلم عليهم ليل الجهالة.

وأوصيكم بالاستقامة، ولا تتبعوا خطوات الشيطان فتضلوا من سواء السبيل، وها أنا ألقي عليكم في هذا المجتمع ما محضته الأفهام، ودونته الأقلام مما يجب أن يُقال في هذا المقام، لعلكم إذا حصلتم من محصّل كلامي على لوامع الأسرار، وأشرقت على أبصاركم من مطالعه الأنوار، لا تقفون عند تخاصم الآراء، وتتربصون لدى تصادم الأهواء، بل تربصوا لإشراق أهلّة النجاح وأدلة الفلاح، فبالله عليكم كونوا مع الخير وإلى الخير، فالأشياء بأمثالها أليق ولأشكالها أقرب.

إلى هنا أقف بكم بما ألقيت عليكم من هدي،وبما أوقدت بين أيديكم من مصباح، فأصبح الباب أمامكم مفتوحاً والطريق سهلاً، والغاية في

متنـاول أيـديكم، ومـا علـيكم بعـد هـذا إلا أن تواصـلوا السـير، وتباشـروا العمل، وتحسنوا النية ، وتخلصوا في القصد والله معكم[1].

*****

1- مخطوط خاص ورسالة عن السيد الخصيبي ومولده ونشأته وثقافته من تأليف العلامة الشيخ علي عباس.

السؤال السابع

ثلاثة أشياء لاحظتها شخصياً عند العلويين تتنافى مع الإسلامية التقليدية.

1- **الحجاب:** صحيح أن بعض المسلمات غير العلويات خلعن الحجاب، لكن الغالبية بما في ذلك الشابات ما تزال تحافظ عليه كأصل في العقيدة، لكن العلويات المسلمات الشابات تحديداً تخلّين عنه كلياً في المدن والقرى دون أن ينقص ذلك من الشعور الإيماني.

2- **المساجد:** ففي كثير من القرى العلوية التي زرتها لم أجد مساجداً " كذا " رغم أن بعضها – القرى – كبير الحجم وتعداد السكان.

من تلك القرى المخرم الفوقاني- الناعم- الغسانية- لفتايا – شطحا- دوير رسلان- بستان ديب " ؟؟ " – بمنة – بعمرة – وغيرها.

3- **التقمص:** وهو عقيدة علوية معروفة تماماً، وقد حدثني بها بعض المثقفين من العلويين، والتقمص غير موجود في الإسلامية التقليدية.

كيف نفسر وجود هكذا ظواهر في المذهب العلوي ؟ وما هو التعليل الديني التاريخي لها ؟؟.

الجواب

إن وجود هذه الظواهر لا يعنيك أصلاً، لكن الذي يعنيك ويعني الآخرين هو إيجاد نقاط انطلاق لإعطاء صورة مريبة ناقصة عند بعض الفئات الإسلامية.

1- **الحجاب: - بشكله الحالي**- الغطاء للوجه والرأس والعنق واليدين عند البعض لم يرد في الشرع الإسلامي، وغنما ورد في القرآن الكريم الخمار، وهو غطاء الرأس والعنق..{... **وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ..**}/النور31/.

وللعلماء أقوال كثيرة في هذا الموضوع بين متشدد ومعتدل، ويُقال أنه بشكله الحالي دخل متأخراً، وفي العصر العباسي على التحديد.

ويروى أن الخليفة عمر بن الخطاب نادى على زودته ولديه بعض الناس قائلاً: يا أم عبد الله اخرجي وكلي معنا. **فأجابته:** هلا كسوتني كسكينة بنت الحسين أو عائشة بنت طلحة لأستطيع الخروج.

وهذه سكينة بنت الحسين بن علي حفيدة الرسول تجلس للشعراء تناقشهم الشعر وتطارحهم الأدب. وقيل: كانت تجلس وراء حجاب.

والتاريخ الإسلامي يحدثنا: أن النساء المسلمات كن يرافقن أزواجهن في الغزوات والحروب، يسعفن الجرحى ويداوينهم ويقتن الخيول، وهذا العمل لا يفترض أن يكون من وراء حجاب.

والمرأة في الأرياف- وكل العلويين في الأرياف- التي تشارك زوجها العمل في الحقل لا تتقيد، ولا يمكنها أن تتقيد بالحجاب لأنه يعيق عملها.

وبصورة عامة: إن الحجاب لا يشكل مسألة ذات علاقة بجوهر الدين وليس أصلاً في العقائد، ولا ينقص من الشعور الإيماني كما قلت، وطبيعة العصر التي أخرجت المرأة من الأكنان في البيت إلى نطاق العمل الواسع في المجتمع، ويحكم الظروف الاقتصادية التي تفرض عليها المساهمة في الشأن الاقتصادي، كل هذا يجعلها مضطرة للتحرر من الحجاب.

والإسلام كشرع متطور تنطلق أحكامه العامة من المصلحة العامة، وترك الحجاب لضرورة العمل ينطوي تحت هذه القواعد الناظمة، ويعتبر من باب سد الذرائع، في الفقه الإسلامي.

2- **المساجد:** حال دون انتشار المساجد في هذه الأوساط الفقر المدقع، الذي خيّم على ربوع هذه الجبال طوال قرون وقرون بحكم إبعاد ساكنيها عن المشاركة بالحياة العامة، وفقر تربتها، ونمط الأعمال البدائية التي لا تصلح أرضاً ولا تعطي ثروة، وسكانها بالوقت نفسه يفتقرون إلى أكواخ تكاد لا تدفع حراً ولا تقي من قرّ !! فاكتفوا بالصلاة

في بيوتهم وقيام الشعائر الدينية بها، وربما تناوبوا إقامة الصلاة من بيت إلى بيت جماعة.

أما بعض ذوي اليسر في بعض القرى – وما أقلهم – فقد أشادوا المساجد في غمرة تلك الفترات الحالكة كما هي الحال في – الدريكيش –وبيت الشيخ يونس – والشيخ بدر– وغيرها.

ويأتي بعض من لا يعنيهم من هذه الأمور شيء كصاحبنا الصحفي الباحث، فيقيمون النكير قائلين وبالسوء ما يقولون ويقصدون – إن هذا دليل على التهاون بالإسلام والمسلمين.

ولكن إذا صاحبنا في خلو بعض القرى العلوية من المساجد شاهداً على ضعف الإسلام عند أهلها– كما يريد أن يوحي – متجاهلاً كل الأسباب، فهلا زار القرى المسيحية في هذه الجبال ليجد أنّ الكثير منها لا يوجد بها كنائس، فهل يفهم من ذلك أن أهلها غير مسيحيين ؟؟

نحن لا نرى هذا، ولا نلمز أهلها، ولا نغمز من إيمانهم، ولكنه التمحل والتدخل بما لا يعني، والركض حتى اللهث وراء تسقط العثرات– عثرات الآخرين.. لغاية.

3– التقمص:

التقمص ليس عقيدة علوية معروفة كما يزعم صاحبنا الباحث، بل هو مفهوم فلسفي ورياضة عقلية، يفرضها العقل الواعي الباحث عن حقائق الكون وظواهر الطبيعة، وخاصة الإنسان، وهناك جدلية تقوم بين المنظورين الديني والفلسفي !!

كل دين من الأديان السماوية وحتى الأديان الوثنية تفترض أن إلهها مطلق الكمال، لا نقص في كماله، ولا ريب في حكمته، ولا جور في قضائه، ولا ظلم في تدبيره، وهذه مسلمات لا جدل فيها ولا شك و لا ارتياب عند كل ذي دين، أما الماديون فلهم شأن آخر لا يعنينا هنا بحثه !!

عندما أبصر أنا، أو أنت، أو هو، أو هي، إنساناً ناقص التكوين مشوّه الخلقة، أصم، أو أبكم، أو أعمى، أو مقعد، أو ناقص الأطراف منذ ولادته فنتساءل ويحق لنا أن نتساءل وبحسرة وإشفاق وحيرة لماذا خلقه الله هكذا ؟؟!

الإله- كما يفترض، وكما يجب- عادل، والعدل بين مخلوقاته من صفات الكمال التي تليق به، أو هي صفة ملازمة له ضرورة، ولكن لماذا ولد زيد سويّ الخلقة والتكوين، وولد عمرو مشوه الصورة وناقص التكوين ؟؟

وهنا يلجأ العقل إلى التعليل، والبحث عن أسباب إشباعاً لجوعه إلى المعرفة، وتحقيقاً للغاية التي أوجده الله لأجلها، واكتناه سر ما يحيط به من ظواهر الكون الواسع المليء بالأسرار، ونفياً للظلم عن الإله الخالق الذي يؤمن بكماله وعدالته.

وهنا وفي غمرة ما يراه، وما يؤمن به من عدالة الله لا يجد حلاً لهذه المشكلة في دينه، ولدى عقله إلا إذا افترض حياة سابقة وأعمالاً سالفة نتجت عنها عقوبة لاحقة.

هذا ما يُطالب فيه العقل ليصل إلى الحلّ !!

ولكن.. ماذا عن التقمص في الأديان ؟ ومعتقدات الشعوب.

سنورد – بهذه المناسبة – قول الصحفي الباحث أنّ التقمص عقيدة معروفة عند العلويين – ما نسوقه للقراء حول هذا الموضوع غير منحازين لأي رأي من هذه الآراء.

1- التناسخ أو التقمص:

التناسخ في المصطلح أن تنتقل روح إنسان من جسده بالموت لتلبس جسداً آخر أي أن النقلة عبارة عن نسخة جديدة عن نسخة سابقة، ولهذا سموه تناسخاً !!

والتقمص اصطلاحاً: يعني أن روح الإنسان كان تلبس قميصاً – جسداً– سابقاً واستبدلته بقميص جديد !!

والنظرية قديمة جداً، وربما أنها نبتت أو ما نبتت – في الديانة البرهمانية، ثم امتدت إلى الأديان الأخرى.

تقول نظرية : إن ما هو موجود حقاً يستحيل أن ينقطع عن الوجود، وما كان غير موجود فلن يبدأ بالوجود !!

لكن هناك بعض المذاهب لا تقف عند التناسخ أي انتقال الروح من إنسان لآخر بل أضافوا الفسخ والرسخ والمسخ إلى هذا النسخ.

فالفسخ: هو الانتقال أو التحول من الإنسان إلى الحيوان !!

والمسخ: هو تغير الصورة !!

والرسخ: إحلال الروح في المعادن والجمادات.

قال غاندي: إنني أؤمن بتعاقب الحيوات كما أؤمن بوجود جسمي!!

وفي اليونان: الأورفية تري أنّ النفس تطهر وتتسامى بطريقة التناسخ !! وآمن أفلاطون وفيثاغورث بالتناسخ !!

وعرفته اليهودية في مصر لأن موسى كان من كهنة أوزيريس!! وآمن به بعض آباء المسيحية كأوجينوس وأورنيموس !!

وفي الإسلام يحتج بعضهم بالآية الكريمة:**{نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ* عَلَى أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لا تَعْلَمُونَ* وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الأُولَى فَلَوْلا تَذَكَّرُونَ}**الواقعة60-62/٠

يقول أحد المفسرين محمد بن محمد بن عبد اللطيف الخطيب في شرح هذه الآية: إنّ الإنسان قد يولد بعد موته في حال أدنى مما كان عليه عقاباً أو ابتلاءً أو في حال أفضل مما كان عليه مكافأة أو تعزيزاً، ولكنه يستدرك فيقول: إنّ أكثر الناس يعارضون هذا القول احترازاً من تناسخ الأرواح.

ويقول الحسن البصري في شرح هذه الآية: أن نجعلكم قردة وخنازير كمن مسخ قبلكم إن لم تؤمنوا برسلنا[1].

وجاء في التفسير المبين لمحمد جواد مغنية: أنه تعالى قادر على بعثكم بعد الموت في صورة لا عهد لكم بمثلها إطلاقاً ص617.

وجاء في تفسير الجلالين: يخلقكم في ما لا تعلمون من الصور كالقردة والخنازير[2] وذكر الشهرستاني الفرق التي تؤمن بالتناسخ، وكذلك المسعودي والبغدادي.

والنشأة الأولى الواردة في الآية تدل على نشآت عديدة، **{وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ}**/الأنعام94/.

{إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ}/يونس4/.

1- روح البيان في شرح القرآن المجلد6 ص414.

2- تفسير الجلالين ص454.

وكتب الدكتور عبد الرزاق نوفل عضو المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ومقرر لجنة التعريف بالإسلام في كتابه " أسرار وعجب " ما موجزه: إنّ آيات القرآن الكريم تشير إلى خلق الإنسان أكثر من مرة مما يؤيد ويساند القول بتكرار الولادة،**{وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ}**/فصلت21/.

{قُلِ اللهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ}/يونس34/.

{اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ}/الروم11/.

وجاء في كتاب " العودة للتجسد " في المفهوم العلمي الحديث للأستاذ عبد العزيز جادو: ليس لنا أن ننسى أنّ الإسلام أقرّ هذه العقيدة كما أقرتها اليهودية والمسيحية والبوذية والهندوكية، وقد جئنا بكتابنا على كثير من الشواهد والآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي يستدل منها على هذه الحقيقة، فعملية التطور إنما تتم عن طريقة " العودة للتجسد ".

وهناك آيات كثيرة:**{كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتاً فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ}**البقرة28/. ويلاحظ تكرار الحرف" ثم" الدال على الترتيب مع التراخي،**{وَهُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ}**/الحج66/. لاحظ لفظ أحياكم أولاً، والإحياء غير الإنشاء ولا يكون إلا عن موت.

وقالوا:**{قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ}**/غافر11/.

ومن المعاصرين من مفكري المسيحية جبران خليل جبران في "مرتا البانية ": أنا ذاهبة إلى عالم الأرواح يا حبيبي وسأعود إلى هذا العالم لأن عشتروت المقدسة تعيد إلى هذا العالم أرواح العاشقين.

وميخائيل نعيمة في روايته " مرداد ".

وإيليا أبو ماضي في " زهرة الأقحوان ".

فكيف فاتت صاحبنا كل هذه المصادر ولم يجد هذا النقص العقائدي إلا عند العلويين ؟؟؟

أما ما جاء على لسان يسوع المسيح عندما سأله تلامذته عن الأعمى: هل أخطأ هو أم أبوه ؟؟ وأجابهم: لم يخطئ هو ولا أبوه ولكن لتظهر أعمال الله !! فهذا الجواب– إن صحت الترجمة – لم يحل المشكلة، ولم يرضَ العقل، وغنما يلصق الظلم بأبيه السماوي، ويسلبه صفة العدل والرحمة[1].

إننا لا ندعو أحداً إلى الأخذ بأي قول لا يتفق مع عقله واعتقاده، ولكن ندعو إلى الأخذ بمعطيات العقل، وصحيح النقل وتخطي ما تجاوزه الزمن.

1- يوحنا الأصحاح التاسع.

السؤال الثامن

ثمة من يقول: أن بين العلويين من هو اثنا عشري خالص، ولا يمكن تفريقه عن أي شيعي آخر، وبينهم من هو مغالٍ متطرف لا علاقة له بالإسلام !!

وثمة من يقول: كل العلويين سواء، وأن لديهم تعليماً شفوياً لا يكتب كي لا يقع في يد الأعداء، وأن لهؤلاء مذهباً خاصاً ليس إسلامياً وإن كان يبدي الأسلمة " كذا " كنوع من التقية !!.

أي القولين أصح ؟؟ أم الاثنين خطأ ؟؟

الجواب

قلنا في مكان آخر من هذا الكتاب أنّ هذه الأسئلة جديرة بالأهمال وخليقة بالإطراح، ولكن أخشى ما يخشى أن تترك نقاش وإظهار خفاياها، وأن تأخذ طريقها إلى التاريخ، فتصبح تاريخاً ومصدراً موسوعياً.

لاحظ التعابير الدالة على حسن النية !! وسلامة الطوية !!

1- بينهم من هو مُغال لا علاقة له بالإسلام.

2- لديهم تعليم شفهي لا يكتب كي لا يطلع عليه الأعداء !!

3- أن لهؤلاء مذهباً خاصاً ليس إسلامياً !!

4- يبدي الأسلمة كنوع من التقية !!

نقول: إن هؤلاء الناس الذين تمردوا على محكمة الضمير، فلماذا لم تتلهم محكمة القانون ؟؟

المسلمون العلويون أيها الباحث يقلدون مذهب الإمام جعفر الصادق، وفي الإسلام عدد من المذاهب وكلها تقوم على الكتاب والسنة.

ومن الطبيعي أن تظهر اختلافات في اجتهاد بعض العلماء والفقهاء والمفسرين والمحدثين والرواة وعلى مدى أربعة عشر قرناً من التطور العلمي والفكري، والمسائل الاجتهادية من عمل الأشخاص، وعقول الأشخاص تتفاضل، وإفهامهم تتفاوت وكل هذه الاجتهادات في الفروع، ولكنها لا تخرج عن نطاق التشريع العام، وتندرج تحت القواعد العامة وأصبحت وسيلة يسر وتوسعة على المسلمين ولذلك وضعت القاعدة العامة: اختلاف الأئمة رحمة بالأمة، والمجتهد مثاب في حالتي الخطأ والصواب باعتبار حسن النية وتختلف المثوبة.

المغالاة بالمفهوم الذي يريده السائل لا وجود لها.

هناك المغالاة السياسية وهي القول: بأفضيلة/ع/.

ومع هذا القول: التزام العلويون بقاعدة " جواز إمامة الفاضل مع وجود الأفضل " لأن علي/ع/ كان مستشاراً وناصحاً لمن تقدمه من الراشدين/رض/.

إن تلك الخلافات التي أرثها ملوك العصرين الأموي والعباسي ولعبت الشعوبية في إيقاد نارها ضد المعارضين لم يبقَ لها في نظر العلويين أي وجود. وقد تجاوزها الزمن، وانحصرت آثارها في التاريخ كأثر تاريخي منقطع ولا يرتبط إلا بزمانه ومكانه.

ومما تجدر الإشارة إليه بهذه المناسبة أن العلويين هم أكثر فئات المسلمين تسامحاً في القضايا الاجتهادية فلا ينكرون على المصلي أن عقد يديه في الصلاة كما يفعل البعض، أو أن أسبلهما كما يفعل البعض الآخر، أو قال في آذانه حي على الفلاح ووقف عندها، أو أردفها بحي على خير العمل، ولا يرون في ذلك خلافاً جوهرياً في الدين.

قال شاعرهم وفيلسوفهم الأمير حسن المكزون السنجاري المعروف لدى الدارسين في الشرق والغرب:

أمي الشريعة والمقيم لها أبي   وبنو بنيها كلهم إخواني

وقال أحد شعرائهم المعاصرين:

هذي الجبال المستحمة بالسنا والطيب والذكرى قُرىً ومزارعا

نسبوا الغلوّ لها وتلك حكايةٌ مكذوبة غدت اتهاماً شائعا

لم تنكر الصحب الكرام وإنما بالفضل ميزت الإمام الرابعا

أما التقية التي تثار في كل مناسبة فهي اتقاء سياسي أوجبه الظلم والاضطهاد وأفانين القتل والملاحقة التي أنزلها الحاكمون في العصرين الأموي والعباسي بالأحزاب المعارضة ويستغل المستشرقون والمبشرون هذه الظاهرة في التاريخ الإسلامي كخلاف ديني لتحقيق أغراضهم وهذه الأسئلة عبارة عن الاحتطاب في هذا الحبل.

ونختتم هذا النقاش بآيات من القرآن الكريم:

1- **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ}**/الحجرات6/.

2- **{إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لا تَعْلَمُونَ}**/النور19/.

3- **{فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَاءنَا وَأَبْنَاءكُمْ وَنِسَاءنَا وَنِسَاءكُمْ وَأَنفُسَنَا وأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَةَ اللّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ}**/آل عمران61/.

*****

و... كلمة إلى

كتبة " الحقيقة الصعبة "

التاريخ مراحل، ولكل مرحلة صفة مميزة، فالمرحلة التي تبدأ من مولد " الناصري " يصح تسميتها بالمرحلة الواعية، لأنّ ابن مريم أغناها بقيم الحب والرحمة والسلام.

وجاء" المكي " ابن آمنة فأضاف قيماً روحية ثم ربطها بالقيم المادية.

وهكذا تسنى لإنسان هذا الشرق أن ينعم بهذا التوازن بين القيم الروحية والقيم المادية، فترف ضميره وتألق وجدانه وتوقد شعوره، وتعمق إحساسه بإنسانيته، في ظلال هذه القيم التي تحقق له مجتمعاً فاضلاً يسوده الحب والخير والجمال ويرف عليه الأمن والسعادة.

وصدرت هذه القيم إلى العديد من المجتمعات لتصارع قوى الشر ودعاة الفوضى.

وفي هذا الوقت الذي يحاول فيه قادة العالم والمصلحون أن يوجدوا عالماً جديداً ونظاماً عاماً ينسق العلائق بين ساكني هذا الكوكب نجد – لسوء الحظ– من يتنكر لهذه القيم، ويعمل هدماً في بناء هذه السعادة المتوقعة لما في جبلته من السلبية والانحراف.

أين نضع كتبة " الحقيقة الصعبة " بالنسبة لهذا العالم المتجه لإقامة مجتمع السلام والمؤاخاة والعدالة والمساواة، المجتمع المجرد من البغضاء والكراهية والتعالي والمشارة والاقتتال ؟؟

أين نضعهم وقد مهد العلم للإنسان سبيل التعاون والمثاقفة والمواكبة والاجتماع ؟؟

أين نضع أبا موسى الحريري وأنور ياسين ومصطفى جحا ورجال الشركة المساهمة في سلم العلاقات الاجتماعية والدعوة الإنسانية ؟؟

لماذا يوظفون أقلامهم في محاربة السلام ؟؟ ويعملون معاولهم في هدم الإسلام ؟؟ ويجهدون أنفسهم في التنقيب عن كل وجه سلبي في التاريخ ؟؟

لماذا يثيرون الأحن، ويوقظون الفتن، ويحضون على القطيعة، ويحرضون على الوقيعة ؟؟

إنهم متمتعون بالثقافة، مزوّدون بالمعرفة، مدركون اتجاه حركة الحياة والتاريخ، فما لهم يتنكرون لما يعرفون، وينكرون ما يعلمون، ويغضون أبصارهم عما يرون، ويحجبون بصائرهم عن حقيقة ما يشعرون ؟؟

إننا نهيب بالأمة أفراداً وجماعات، ونستعدي كل ضمير حيّ، وقلم حر، وعين ناظرة، ويد عاملة، وإرادة فاعلة، لإيقاف كل نشاط محموم، وتطهير كل جو مسموم، والعمل على تحصين المدارك والعقول من خطر كل وافدة وشيطنة كل ماردة !!

وأي مرض أمضّ وأعدى، وأفتك وأردى وأشرس وأودى من تمزيق وحدة الأمة، وتفريق إجماعها، وخلخلة تراصها، وتحدّي مقدساتها، والتعدي على حرماتها، والتصدي لمسيرتها ؟؟

لماذا هذا التجني على الإسلام كدين وتشريع ونظام مجتمع ؟؟

لماذا هذه الحملة من الافتراءات على فئات المسلمين، والتهالك على تأريث الخلاف، والعداوة بينها ؟؟

هل هناك خدمة للحقيقة ؟

أم استقراء للتاريخ ؟؟

أم أمانة للعلم ؟؟

أم رفد للمعرفة ؟؟

أم دعوة للإصلاح ؟؟

لا هذا!! ولا ذاك!! ولا ذلك!!

أليس من السلامة لهم أن يدعو أمر الإسلام والمسلمين، ويوجهوا أقلامهم إلى بعض خلافاتهم وما أكثرها وأوفرها وأغزرها !!

والآن:

ليسمح لنا القراء أن نستعرض بعض آراء أبي موسى الحريري الشخصية المخبأة المختبئة في كتابه " قس ونبي " ونضرب صفحاً عن كتبه الأخرى وهي لا تقل تجنياً وتحدياً على الإسلام عما في كتابه هذا، إن لم تزد عليه!! ولنا معها، ومع كتاب مصطفى جحا " محنة العقل في الإسلام " موعد آخر، وكذلك مع أنور ياسين، والحسيني عبد الله.

قال أبو موسى الحريري في بعض ما قال:

1- إن مكة ليست موطن انطلاقة دعوة التوحيد والإسلام بل مركز كنيسة نصرانية !!

2- أن محمداً أدخله القس ورقة بن نوفل في النصرانية ليخلفه في كنيسته هذه !!!

3- أنّ القرآن هو ترجمة إنجيل متى، وأن عثمان بن عفان أدخل عليه تحويلاً وتشويهاً مغتنماً فترة الحروب آنذاك !!

4- الإسلام ليس إسلاماً بالمصطلح المعروف عنه، بل عقيدة أبيونية !!!

5- أن هذا الإنجيل الذي يدعوه المسلمون قرآناً وصل إلى ورقة بن نوفل باللغة الآرامية، وبالحرف العبراني، وعربه القس ورقة بن نوفل مع محمد بشيء من التصرّف، ويمكن أن يكون لعلي بن أبي طالب شيء من المساعدة، على النقل لأن أسلوبه في نهج البلاغة يشبه أسلوب محمد !!

نحن لا نناقض هذه الآراء الآن، لأننا نعتقد أنه لا يوجد ثقيف في العالم إلا ويدرك زيفها وبطلانها، والغرض منها، بل نقول لأبي موسى الحريري المخبأ المختبئ وللشركة المساهمة: أنه كان من الأجدى لكم، والأجدر بكم أن تبحثوا آراء علماء الغرب، مؤرخي المسيحية وفلاسفتها

وخلافاتهم الكثيرة الوفيرة الحادة الرادة الهازلة الجادة، وتعملوا على سد هذا الخلل، ووضع حدّ لهذا الجدل، وذلك لو علمتم وعملتم خير عمل.

وإنني- والحالة هذه مضطر- وللضرورة أحكامها- وبكثير من الحياء والخجل أن أضع بين يدي أبي موسى الحريري، والشركة المساهمة مجموعة من آراء علماء الغرب المسيحي وكتابه ومؤرخيه وفلاسفته فيما اختلفوا فيه وعليه وبه من أصول عقيدتهم.

لست مؤمناً إيماناً قاطعاً بصحة الكثير من هذه الآراء وخاصة ما يخالف ما جاء في القرآن الكريم عن السيد المسيح.

1- تشكك كثيرون من علماء الغرب المسيحي وفلاسفته ومؤرخيه من أرباب الإلحاد العلمي وشككوا بوجود المسيح، واعتبروا ما جاء عنه شبيهاً بما جاء عن كرشنا وأوزوريس وأتيس وأدونيس وديونيشيس. فأطلقت عليهم الكنيسة وبحق اسم الهراطقة.

2- كينجيرك وأصحابه يقولون: إن المسيح قد لا يكون له وجود على الإطلاق[1].

3- فلني Volney يجهر بهذا في كتابه خرائب الإمبراطورية[2].

1- ول ديورانت قصة الحضارة المجلد 11.

2- فلني: خرائب الإمبراطورية.

4- هردر Herdr يرى الفوارق بين مسيح متى ومرقص ولوقا ويوحنا لا يمكن التوفيق بينها[1].

5- هنريخ بولس Heinrich Poulus يعرض تفسيراً عقلياً للمعجزات ويعزوها إلى علل طبيعية[2].

6- دافيد استروس David Astrauss يرى أن ما في الناجيل من خوارق الطبيعة، يجب أن يعد من الأساطير الخرافية[3].

7- فرديناند كريستان vardinan kristan يرى أن رسائل بولس مدسوسة[4].

8- برونو بور Bruno Bauer يثبت أن يسوع لا يعدو أن يكون أسطورة أو طقساً مزيجاً من اليهودية واليونانية والرومانية[5].

9- في أواخر القرن التاسع وعلى يد الأب لوازي Loisy بلغت لمدرسة الفلسفية ذروتها في تحليل نصوص العهد الجديد فطردته الكنيسة ولعنته وحرمته[6].

1- ول ديورانت قصة الحضارة المجلد 11.

2- المصدر نفسه.

3- المصدر نفسه.

4- المصدر نفسه.

5- المصدر نفسه.

6- المصدر نفسه.

10- المدرسة الهولندية أنكرت بعد بحوث مضنية حقيقة المسيح التاريخية[1].

11- وكذلك في ألمانيا على يد آرثر Arthr .

12- وفي انكلترا تم إنكار وجود السيد المسيح على يد سميث[2] w.B. Smith Smith

ويقول ول ديورانت بعد هذا العرض المستفيض: وهكذا بدا أن الجدل الذي دام مئتي عام سينتهي إلى أفناء شخصية المسيح أفناء تاماً[3].

وهناك ما كتبه يوحنا هوس وتلميذه جيروم والأستاذ لارون، وبوست والقسيس المصري إبراهيم سعيد، وما أثبته دائمة المعارف البريطانية بهذا الصدد.

وماذا يقول مؤلف مروج الأخبار في تراجم الأخيار عن بطرس وتلميذه مرقص وموقفهما من السيد المسيح ؟؟

ويقول بولس الرسول عن نفسه: أنا فريسي ابن فريسي(إصحاح23).

ويقول أيضاً: أنا رجل يهودي(أعمال، إصحاح9).

1- المصدر نفسه.

2- المصدر نفسه.

3- المصدر نفسه.

ويتهم بأنه أفتك أعداء المسيحية الذي يفشي القتل في تلاميذ الرب(أعمال، إصحاح11). وهكذا تتعدد هويات بولس، فريسي، يهودي، روماني، حواري.

وما رأي أبي موسى الحريري الذي جعل همه، وجنّد فكره وكرّس قلمه، ونذر وقته وأسهر عينه لينال من الإسلام كتشريع، ومن المسلمين كفئات، ما قوله بالفرق الضالة، والشيع المتعددة الخارجة على الكنيسة، مثل:

1- الزهادية: التي تعتبر الزواج من الخطايا[1] !!

2- المتخيلة: التي تقول أن جسم المسيح لم يكن لحماً ودماً، بل شبحاً وخيالاً[2] !!

3- الثيودوتية: التي لم تر في المسيح أكثر من إنسان[3] !!

4- المتبنية: التي ترى أن المسيح كان بمولده رجلاً عادياً[4]!!

5- الظاهرية: القائلة أن الآب والابن والروح القدس ليست أقانيم منفصلة، بل هي صور مختلفة يظهر الله بها للإنسان[5] !!

6- والمنكرون وجود المسيح[6] !!

7- واليعاقبة الذين يعتقدون بالطبيعة الواحدة[7] !!

8- والقائلة بالطبيعتين[8] !!

1-2-3-4-5-6-7-8-9- قصة الحضارة المجلد11.

9- والقائلون بمشيئة واحدة[9] !!

11- والقائلون أن متى صاحب الإنجيل يهودي عشّار، خاطئ ولا يعلم بأي لغة كتب إنجيله، أبالعبرية أم بالسريانية، أم اليونانية ؟ ومن هؤلاء القائلين هوس، وبوست وجيروم، وول ديورانت !!

فهل لأبي موسى الحريري، وكتبة الحقيقة الصعبة أن يناقشوا هذه الحقائق الصعبة ويدفعوا أقوال هؤلاء الهراطقة ؟؟ ويصلحوا ما في البيت من تصدع وتداع وانهيار ؟؟

ويتركوا أمر الإسلام، ورسول الإسلام، ورسالة الإسلام، والمؤمنين بهذه الرسالة !!

هل لهم أن يزيلوا الالتباس عن كتبة الأناجيل، ويحددوا تاريخ كتابتها وبأي لغة كتبت، ومتى، وكيف، وأين، ويظهروا سر هذه الفوارق بينها، وكيف تجاوزت العشرين عدا، وهي:

1- إنجيل برنابا، 2- إنجيل الحواري يعقوب، 3- إنجيل الحواري توماس، 4- إنجيل القديس نيكوديم، 5- إنجيل السبعين، إنجيل الاثني عشر، 7- إنجيل التذكرة، 8- إنجيل العبريين، 9- إنجيل الناصريين، 10- غنجيل المصريين، 11- إنجيل ديصان، 12- إنجيل ماني، 13، إنجيل مرفيون، 14- إنجيل أبيون،

15- إنجيل متى، 16- إنجيل مرقص، 17- إنجيل لوقا، 18- إنجيل يوحنا).

وكيف اختصرت واقتصرت على أربعة أناجيل فقط.

هل له، لهم، وهم الباحثون أن يزيلوا هذه الإشكالات ؟؟ ويريحوا أنفسهم وأقلامهم من عناء البحث والتنقيب عن القرآن وجمعه وجامعيه، ومتى، وأين، وكيف ؟؟!!

هل له، لهم أن يوضحوا أسباب تلك الزيادات اللاحقة في أسفار العهد الجديد ويعفو أنفسهم من إيراد المزاعم والفرضيات عن القرآن وزيادته وأخطائه اللغوية، ومخالفة بعض تراكيبه للبلاغة العربية ؟؟ ويجعلون من أقوالهم هذه أضحوكة عالمية ؟؟

هل له بدلاً من هذه المزاعم أن يقيم اعوجاج أساليب ترجمات العهد الجديد عن اللغات السريانية والعبرانية، واليونانية، والرومانية إلى العربية ؟؟

لم ينصف علماء الغرب المسيحي السيد المسيح وأمه، ورسالته، كما يرى القراء مما تقدم، ولكن الإسلام، الإسلام وحده هو الذي أنصف السيد المسيح وعرف شأنه وصدق رسالته وبارك أنصاره.

أليس السيد المسيح في القرآن الكريم روحاً من الله، وكلمة من الله ألقاها إلى مريم، وانه يكلم الناس في المهد، وينفخ في الطين فيكون طيراً

بـإذن الله ويبـرئ الأكمـه والأبـرص ويحيـي المـوتى، ومؤيـد بـروح القـدس، وأنّ الله رفعه إليه.

وإن مريم قديسة عذراء، مطهرة مصطفاة على نساء العالمين.

وجاء القرآن مصدقاً لإنجيله.

وحواريوه هم أنصار الله، وأنهم أقرب مودة للذين آمنوا.

ليس فـي الإسـلام مؤسسـات كهنوتيـة تتـوب عـن الله فـي أمـور خلقـه فتعطـي وتمنـع وتضـرّ وتنفـع،.. وتحـرم مـن تشـاء، تمتلـك مفـاتيح السـماء والجحيم، فترفـع إلـى الملكـوت مـن يحمـل صـك غفـران خطايـاه، وهنـاك يستطيب النعيم المقيم، والإغفاءة في حضن إبراهيم.

وتلقــي إلــى الجحـيم مــن لا يحتقـب ذلــك الصــك، وهنــاك البكــاء وصرير الأسنان.

" ربنـا يسـوع المسـيح يرحمـك يـا فـلان ويحلـك باسـتحقاقات آلامـه الكليـة القداسـة، وأنـا بالسـلطان الرسـولي المعطـى لـي أحلـك مـن جميـع القصاصـات والأحكـام والطـائلات الكنيسـة التـي اسـتوجبتها، وكـذلك مـن جميــع الإفــراط والخطايــا والــذنوب التــي ارتكبتهــا مهمــا كانــت عظيمــة وفظيعة، ومن كل علة وإن كانت محفوظـة لأبينـا الأقـدس البابـا والكرسـي الرسولي، وأمحـو جميـع أقـذار المـذنب، وكـل علامـات الملامـة التـي ربمـا جلبتها على نفسك فـي هـذه الفرصـة، وأرفـع القصاصـات التـي كنـت تلتـزم

بمكابدتها في المطهر، وأردك حديثاً إلى الشركة في أسرار الكنيسة، وأقرنك في شركة القديسين، وأردك ثانية إلى الطهارة والبر اللذين كانا لك عند معموديتك، حتى أنه في ساعة الموت يغلق أمامك الباب الذي يدخل منه الخطاة إلى محل العذاب والعقاب، ويفتح الباب الذي يؤدي إلى فردوس الفرح وإن لم تمت سنين طويلة فهذه النعمة تبقى غير متغيرة، حتى تأتي ساعتك الأخيرة، باسم الآب والابن والروح القدس(1).

ورحم الله مارتن لوثر وزونجلي وكالفن !!

وما بال أبي موسى الحريري وشركته المساهمة يتجاهلون كل هذا ويقفزون من فوق التاريخ وينزلون متطفلين واغلين، ضيافن على الإسلام، ونبي الإسلام، وتاريخ الإسلام، وفرق المسلمين، وخاصة العلويين والدروز والإسماعيليين ؟؟

يغمسون أقلامهم في دمائهم، وينشبون أظافرهم في جلودهم وأنيابهم في أعناقهم، ويجعلون منهم – كيداً وعدواناً وافتراءً – صابئة وفينيقيين وذرادشتيين ويزيديين وشبك ونصارى، ولو أسعفتهم الذاكرة وذودتهم الثقافة بأسماء فرق شاذة أخرى لما ترددوا لحظة واحدة عن إضافتهم إليها.

وما أجمل ما قاله الشاعر العربي الحكيم في هذا المعنى:

1– الأسفار المقدسة على عبد الواحد وافي ص119.

قبيحٌ من الإنسان ينسى عيوبه   ويذكر عيباً في أخيه قد اختفى
ولو كان ذا عقل لما غاب غيره   وفيه عيوب لو رآها بها اكتفى

*****

للمؤلف

المطبوع	
1	ثورة العاطفة أربع أجزاء شعر
2	عبق: شعر
3	أضاميم الأصيل: شعر
4	المجموعة الكاملة ج1 شعر
5	في سبيل الحقيقة والتاريخ
6	أفراح الريف: أوبريت
7	الريف الثائر: أوبريت
8	المكزون السنجاري ج1ج2ج3

قيد الطبع	
1	المكزون السنجاري ج4
2	المجموعة الكاملة ج2 ج3
3	كرز وجوع
4	على قبور الأحبة
5	الجمالية في الشعر العربي
6	نساء عربيات
7	رواد عبقر
8	العماد أحمد بن جابر

9	صالح العلي ثائراً وشاعراً
10	الشعر بنية وتشريحاً
11	وجهاً لوجه أمام التاريخ
12	المهدي السحيق: مسرحية

9	محاكمة التاريخ
10	الأغنية الشعبية

الفهرس

*****